الدعوة إلى الله

بين الشرع والفكر

بحث راجعه للطبعة الخامسة

الشيخ مشهور حسن سلمان

من علماء الحديث في الأردن

حفظ حقوق التأليف والطبع قانون وضعي
أما علوم الشريعة فلا يجوز تحجيرها ولا احتكارها
ونشرها ابتغاء وجه الله عبادة صالحة.

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ
الطبعة الثانية
١٤١٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده [ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا]، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾(١).

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾(٢).

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾(٣).

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب آية: ٧٠، ٧١.

محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[٤].

مقدمة

لم أرغب من قبل في أن أكون طرفاً في التجمعات الدينية التي أحدثت أو زادت شقة الخلاف بين الدعاة إلى الله وشغلتهم بمناهجها الخاصة عن منهج النبوة في الدعوة إلى سبيل الله على بصيرة.

ولكني قبل بضع عشرة سنة وجدت تيار «ماسمّي بالصّحوة» الذي اكتسح العالم الكافر ثم المسلم وردّ عدداً كبيراً من الناس إلى

---

(٤) ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح بهذه الخطبة خطبه ويعلمها أصحابه رضي الله عنهم، جاء ذلك من طرق عن ابن مسعود وجابر وابن عباس وعائشة وغيرهم، وأول الخطبة أخرجه مسلم (٨٦٨) عدا ما بين الحاصرتين في كتاب الجمعة : باب تخفيف الصلاة والجمعة.
والخطبة بسياقها عموماً صحيحة أيضاً: أخرجها النسائي (١٠٤/٣، ١٨٨) في كتاب الجمعة : باب كيفية الخطبة وكيف الخطبة، وأبو داود (٥٩١/٢) في كتاب النكاح : باب خطبة النكاح، والحاكم في المستدرك (١٨٢/٢، ١٨٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٤٦/٧)، والأسماء والصفات (ص: ٨٢)، وأحمد في المسند (٣٠٢/١، ٣٥٠، ٣٩٢، ٤٣٢) وانظر رسالة «خطبة الحاجة» للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني.

الدين الحق أو أديان الضلال.. وجدته يدفعني إلى طريق الدعوة الحديثة.

واخترت جماعة التبليغ إذ بدت لي بعيدة عن احتمال غرور طالب العلم بعلمه لأن غالبية أهلها من العوام.. وبعيدة عن احتمال طمع الفرد في المال لأن أفرادها يتحملون نفقات دعوتهم.. وبعيدة عن احتمال تطلع الحزبي إلى السلطة لأن عامة أهلها من المستضعفين الراغبين عن خوض معارك الزعامات الدنيوية.

وعشت بضعة أعوام من حياتي مع هذه الجماعة مشاركاً في نشاطها ومؤيداً لها وداعياً إليها ومدافعاً عنها التهم التي لم تثبتها لي الممارسة ولم ترافقها البينات التي تجيز الأخذ بها.

وفي يوم من أيام رجب عام أربعة وأربعمائة وألف من الهجرة (١٤٠٤ هـ) جاءني بالبينات على ثبوت اتهامها بالتصوف والخرافة والبدعة بل والشرك من هو أعرف مني بهذه الجماعة وأسبق مني إليها وأكثر التصاقاً بمناهجها ومشايخها واعترف لي بمبايعته وعدد من أبناء جزيرة العرب من الرجال والنساء أميرها العام في دلهي على الطرق الصوفية الأربع في الهند وأطلعني على «تبليغي نصاب» منهج التبليغ لغير العرب ونصوصه البدعية والخرافية والشركية.

ولم يكن بد من قبول الحق بعدما تبين .. وأعانني الله على تخطي حاجز التعصب للرأي السابق والحزب فبادرت إلى تحذير أهلها ومؤيديها.. ولما رأيت إصراراً على الباطل بادرت إلى تحذير غيرهم من أخطائها وأخطارها.

وقد رأيت ختام هذه الجولة من محاولة الإصلاح التي أرجو الله أن يجعل رائدها الحق برسالة أخيرة في الدعوة إلى الله توازن باختصار بين المنهج الذي اختاره الله لرسله وبين مجمل مناهج الدعوة الحديثة التي اختارها البشر لاتباعهم.

ورأيت تركيز الدراسة على «جزيرة العرب» لأنها القدوة اصطفاءً من الله رب العالمين.. وعلى «جماعة التبليغ» وجماعة «الإخوان المسلمين» لأنهما من أكبر الجماعات المعاصرة وأنشطها وأحراها بالصلاح والنجاح لو أدركت الخطأ وطرحت التعصب والتحزب وسعت إلى التصحيح على هدي من شرع الله.

ولربّما سأل سائل ممن تخطت هذه الدراسة حدودهم: لماذا يخصّ الدعاة بالنقد ومحاولة التصحيح؟ ألم يبق من الملمات ما هو أولى بذلك: كيد الكافرين والملحدين.. الحكم بغير ما أنزل الله .. الأراضي المغتصبة.. الأقليات المسلمة المستضعفة في بلاد الكفر؟

وسأحاول الإجابة عن هذا الاعتراض الذي يقذفه الشيطان كثيراً في وجه الدعوة إلى الله على منهاج النبوة راجياً من الله التسديد.

١- جميع كتب وخطب ومؤتمرات ما يسمى «بالفكر الإسلامي» و«الثقافة الإسلامية» موجه للقضايا المذكورة، فهي لا تشكو من الإهمال والتفريط، بل تشكو من الاغراق والإفراط.. وفي المقابل لا نجد بينها ما ينبئ بأي قدر من الشجاعة في إنكار مظاهر الشرك والوثنية والبدعة التي لا يخلو منها مجتمع مسلم (خارج جزيرة العرب).. وهي أولى بالإصلاح وأيسر، وأقرب صلة بالجمهور الموجهة له الدعوة.

٢- أغلبية من ينتسب إلى الإسلام (صالحين أو فاسقين.. موحدين أو مشركين) يطالبون بعودة الأراضي المغتصبة وبالحكم بما أنزل الله ويلعنون الكفرة والملحدين.. ولكن أكثرهم يلتزم بالبدع المحدثة في الدين ويعيش الثقافة الملحدة ولا يحكم بما أنزل الله في أهم أمور دينه ودنياه، وينافس معظمهم اليهود والنصارى وطوائف الضلال في صرف أنواع من العبادة لغير الله، والتقرب إلى الله بالتوجه إلى الأموات والتوسل بهم إليه وسؤالهم ما لا يجوز طلبه إلا

منه جلّ وعلا، في أحب البقاع إلى الله. ويحكم في جميع أمره بما يمليه هواه وهوى شيخه وقائد حزبه ورئيس طائفته أو عشيرته وشيخ طريقته ويعرض عن اتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده وفقه سلف الأمة.

فليس من الشرع ولا من العقل (والحال على ما ذكرته) أن يشغل المسلمون بأخطاء غيرهم عن أخطائهم.. وبالأخطاء التي لا يملكون من أمرها شيئاً عن الأخطاء التي يستطيعون (ويجب عليهم) اصلاحها.. وبالأخطار البعيدة عن الأخطار القريبة.. وبتأكيد ما يرددونه من حقائق أو شائعات (عن غيرهم) عن تعلم ما جهلوا من دينهم وغاية حياتهم.

٣- خطأ الدعاة إلى الله أعظم وأبعد أثراً من خطأ الفاسقين فالدعاة إلى الله يُظن فيهم (خطأ أو صواباً) أنهم علماء بما يدعون إليه، ثقات فيما يقولون، قدوة صالحة فيما يعملون.. وعلى هذا تنتشر أخطاؤهم بانتشارهم ثم ترسخ في القلوب والأعمال فتقاوم كل إصلاح.

ومن هنا صار أكثر المسلمين يتقرب إلى الله بالبدعة والخرافة بل وبالشرك بالله اقتداءً بأفراد أو فرق الضلال.

٤- وفضلاً عن كل ما تقدم .. فالاعتراض المذكور أمر جدلي محض.. فمن الذي لا يأمر إلا الدعاة بالمعروف؟ ولا ينهى إلا الدعاة عن المنكر؟

إن محاولة رد الدعاة إلى العقيدة الصحيحة والعبادة الصحيحة والدعوة الصحيحة مرحلة ثانية اكتشف الحاجة إليها من حاول تصحيح العقيدة والعبادة ونشر السنة والتحذير من البدعة والضلال عامة حيثما وجد أو وجد خطره، ثم تبين له أن بعض الدعاة سبب مهم من أسباب حدوث الانحراف أو استفحاله.. بل إن أكثر الجماعات الإسلامية والطرق والطوائف المبتدعة في الدين بنت مناهجها على مخالفة شريعة الله في الدعوة إليه أو طوّرتها لتساير ركب المخالفة.

الدعوة إلى الله على بصيرة

الدعوة إلى الله على بصيرة.. بالحكمة والموعظة الحسنة.. وبالمجادلة بالتي هي أحسن.. وبالقدوة الصالحة؛ خير ما يوظف المسلم فيه نفسه ووقته وماله استعداداً ليوم الحساب والجزاء.. فقد اصطفى الله لها خير خلقه من أنبيائه ورسله وأتباعهم بإحسان.

قال الله تعالى **﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾**(٥).

﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾(٦).

﴿أُدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾(٧).

﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾(٨).

---

(٥) سورة فصلت آية: ٣٣.

(٦) سورة يوسف آية: ١٠٨.

(٧) سورة النحل آية: ١٢٥.

(٨) سورة البقرة آية: ٤٤.

ميزانها:

من هذه الآيات يؤخذ الميزان العادل الذي لم يختلف اثنان من الأئمة في صحته للحكم على صواب أو خطأ منهاج الدعوة في أي مكان وأي زمان وعلى أي حال وهو:

١- مطابقة «سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم» في إبلاغ رسالة ربه : تقديم ما قدّم وتأخير ما أخر.. الاحتياط والحزم فيما لم يوسع فيه والتوسيع فيما وسع فيه.. بإذن الله.

٢- أن يكون الداعي إلى الله «على بصيرة» بما يدعو إليه.. أي على علم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده وفقه علماء السلف من نصوص الوحي.

٣- أن يقوم منهاج الدعوة إلى الله على «الحكمة» في كل حال وهي السنة.. قال الله تعالى : ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**﴾[٩]. وما ذكره بعض المفسرين من أنها الدين أو الشرع أو الإصابة في القول لا يخالف ذلك.

---

(٩) سورة الأحزاب آية: ٣٤.

٤- أن يقوم أسلوب الدعوة على «الموعظة الحسنة» و«المجادلة بالتي هي أحسن» في الموضع المناسب لكل منهما.

٥- التزام الداعي إلى الله في حياته «بالعمل الصالح» الشرعي الذي يدعو إليه جامعاً بين القول الحسن والعمل الصالح والقدوة الحسنة.

منهاجها:

يعرف كل متتبع لسبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله أن منهاجها الشرعي قام على:

١- إعداد الله لرسوله بالعلم:

قال الله تعالى: **﴿إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾**(١٠).

﴿إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى﴾(١١).

﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾(١٢).

---

(١٠) سورة العلق آية: ٣، ٤، ٥.

(١١) سورة النجم آية: ٤، ٥.

(١٢) سورة النساء آية: ١١٣.

٢- البداية بإفراد الله بالعبادة ونفيها عما سواه والتركيز على ذلك في جميع مراحل الدعوة حتى اللحظات الأخيرة من حياة النبي صلى الله عليه وسلم كما هي سنة الله في بعثته لجميع رسله.

قال الله تعالى : **﴿ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً أنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾**(١٣).

٣- لم يشرع الله الصلاة (أهم العبادات وأول ما شرع منها بعد الشهادتين) إلا فيما بين السنة العاشرة والحادية عشرة للبعثة ـ على الراجح من أقوال العلماء في تحديد سنة الإسراء والمعراج (١٤).

٤- رفع الله الحرج عن هذه الأمة في دينها فيما نسيه المسلم أو عجز عنه أو أكره عليه أو أخطأ فيه.

قال الله تعالى: **﴿وما جعل عليكم في الدِّين من حرج﴾**(١٥).

وشرع قصر الصلاة وجمعها والتيمم وتأخير الصيام في الظروف والحدود الشرعية.. وبنى الأمر على اليسر والسعة.

---

(١٣) سورة النحل آية : ٣٦.

(١٤) انظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٠/٢١٠)، و«الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء» للسيوطي، ص: ١١١.

(١٥) سورة الحج آية : ٧٨.

قال الله تعالى : ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾[١٦].

واستثنى الله أمر العقيدة: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾[١٧]. فلا عذر في مخالفة العقيدة بالشهوات والغرائز الجِبِلِّيَة، ولا بالحاجة والمشقة، ولا سبيل للاكراه الخارجي إلى القلب، محل الاعتقاد ومنبع الإخلاص والتوحيد، أو النفاق والشرك.

٥- وأدى النبي صلى الله عليه وسلم رسالة ربه على النهج الذي اختاره له.. وحاشاه أن يحيد عنه.. وصدع بتوحيد الألوهية وزجر عن الشرك قبل الأمر ببقية أركان الإسلام وقبل تحريم الخمر ووضع الربا وفرض الحجاب وقبل أن تقوم للاسلام دولة.

واستعمل أسلوب الاحتياط والحزم في إنكار كل قول أو فعل يحتمل الشرك بالله وإن صدر ممن يظن به قوة الإيمان، فقال لرجل في مجتمع الصحابة: «أجعلتني لله نداً؟» إنكاراً لقوله: «ما شاء الله

---

(١٦) سورة البقرة آية: ١٨٥.

(١٧) سورة النساء آية: ٤٨، ١١٦.

وشئتَ»[18].

وأنكر على خطيب الوفد قوله : ومن يعصهما (أي الله ورسوله) فقد غوى؛ فقال له : «بئس خطيب القوم أنت.. قل ومن يعص الله ورسوله»[19].. وعندما طلب منه من كانوا معه أن يجعل لهم شجرة مثل ذات أنواط التي كان الناس في الجاهلية يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم بيّن لهم أن طلبهم ذلك مساو لقول قوم موسى له[20]: **﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قومٌ**

---

(١٨) حسن. أخرجه أحمد (١/٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٨)، وابن ماجة (٢١١٧)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٧٢)، والطبراني في «الكبير» (١٢/٢٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/٩٩)، والبيهقي (٣/٢١٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/١٠٥) من حديث ابن عباس. وحسنه الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني في «الصحيحة» (١٣٩).

(١٩) أخرجه مسلم (٨٦٩): كتاب الصلاة، باب تخفيف الصلاة والخطبة من حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه.

(٢٠) صحيح. أخرجه الشافعي في «مسنده» (٢٣ ـ بدائع المنن)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٧٦٣)، والحميدي (٨٤٨)، والطيالسي (١٣٤٦)، وأحمد (٥/٢١٨)، والترمذي (٢١٨٠) عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه. وانظر: «النهج السديد» (ص٦٣).

تجهلون إن هؤلاء متبَّر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾[٢١].

وفي المقابل استعمل أسلوب اللين في الإنكار على من تبول في المسجد النبوي في الحديث المتفق عليه[٢٢]، ومع الرجل الذي كان يؤتى به مرات فيجلد في الخمر[٢٣]، والشاب الذي استأذنه في الزنا[٢٤].

وأخبر أبا ذر أن من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة وإن زنى وإن سرق في الحديث المتفق عليه[٢٥]. وأخبر عن ربه في

---

(٢١) سورة الأعراف آية : ١٣٨، ١٣٩.

(٢٢) أخرجه البخاري (١/٣٢٢ ـ مع الفتح) في كتاب الوضوء باب ترك النبي صلى الله عليه وسلم الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد. ومسلم (٢٨٤) و(٢٨٥) في كتاب الطهارة باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد.

(٢٣) أخرجه البخاري (١٢/٧٥ ـ مع الفتح) في كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر. من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢٤) صحيح أخرجه أحمد (٥/٢٥٦ ـ ٢٥٧)، والطبراني (٨/١٩٠، ٢١٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١٢٩) : «رجاله رجال الصحيح»، وقال الشيخ الألباني في الصحيحة (٣٧٠) عن اسناد أحمد: «صحيح رجاله كلهم ثقات، رجال الصحيح».

(٢٥) أخرجه البخاري (١٠/٢٨٣ ـ مع الفتح) في كتاب اللباس باب الثياب البيض، ومسلم (٩٤) في كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

الحديث القدسي أنه قال: «.. يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»(٢٦).

كما أخبر أن: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألاّ يَعذّب من لا يشرك به شيئاً»(٢٧).

---

(٢٦) صحيح. أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) عن أنس. وأخرجه أحمد (١٥٤/٥، ١٧٢)، والدارمي (٣٢٢/٢) عن أبي ذر. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٧)، وانظر: «النهج السديد» للدوسري (ص ٣٣ ـ ٣٤).

(٢٧) أخرجه البخاري (٣٩٧/١٠ ـ مع الفتح) في كتاب: اللباس باب إرداف الرجل خلف الرجل. ومسلم (٣٠) في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

منهاج الدعوة ثابت لا يتغير

الدعوة إلى الله عبادة.. والعبادة لابد من الالتزام فيها بشرع الله من كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده على الرغم من اختلاف العصور وتعاقب الأمم.

وقد قصَّ الله علينا في كتابه قصص بعض رسله من نوح إلى محمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين على اختلاف المكان والزمان وحال الأقوام الذين أرسلوا إليهم وطول الفترة بين الرسل ومدة لبث الرسول في قومه فلم يتغير أساس الرسالة ونقطة البداية في الدعوة أبداً ولو مرة واحدة.

وإنما قامت جميع الرسالات وبدأ جميع الرسل دعوتهم بإفراد الله بالعبادة ونفيها عما سواه وهو معنى ومقصد لا إله إلا الله: قال الله تعالى **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾**[1].

---

(١) سورة النحل آية: ٣٦.

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[٢].

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾[٣].

وأخبرنا الله سبحانه وتعالى (على وجه التفصيل) أن نوحاً وهوداً وصالحاً وشعيباً قال كل منهم لقومه: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[٤] وفهم المشركون أن مقصد الرسالة هو توحيد العبودية فقالت عاد: ﴿أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾[٥].

وقال كفار مكة: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾[٦] وهم مؤمنون بوحدانية الله في ربوبيته.

وبيَّن الله سبحانه وتعالى أن التوحيد شرع الله لهذه الأمة وهو ما وصّى به نوحاً ومحمداً وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

(٢) سورة الأنبياء آية: ٢٥.
(٣) سورة البينة آية : ٥.
(٤) سورة الأعراف آية: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، هود: ٥٠، ٦١، ٨٤.
(٥) سورة الأعراف آية : ٧٠.
(٦) سورة ص آية : ٥.

يقول جلال الدين المحلي في تفسير الجلالين عن هذه الآية من سورة الشورى: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدِّين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب**﴾[٧]: هذا هو المشروع الموصى به والموحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوحيد ﴿**كبر**﴾ عظم ﴿**على المشركين ما تدعوهم إليه**﴾ من التوحيد ﴿**الله يجتبي إليه**﴾ إلى التوحيد ﴿**من يشاء ويهدي إليه من ينيب**﴾ يقبل إلى طاعته.

وكما بيَّن الله في هذه الآية أن التوحيد من أعظم نعم الله على عباده يصطفي له من يشاء بفضله ثم بطاعة عبده له، قص مثل ذلك عن يوسف عليه الصلاة والسلام في سورة يوسف:

﴿**واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون**﴾[٨].

---

(٧) سورة الشورى آية : ١٣.

(٨) سورة يوسف آية : ٣٨.

وفي وحدة الدعوة والأمة بالتوحيد قال الله تعالى : ﴿**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**﴾(٩).

فإذا كان الله تبارك وتعالى خالقُ العباد العليم بأحوالهم الخبير بما يصلح لهم في كل حال قد اختار هذا المنهاج لجميع رسله ولجميع من أرسل إليهم فليس لبشر أن يغير دين الله باختياره لنفسه أو لغيره طريقاً للهداية غير هذا الطريق. وليس لنا أن نسوِّغ الخروج عن سبيل الله وسبيل رسله في الدعوة إليه بأن «الظروف تغيرت» أو أن الناس قد «ملوا التكرار» أو أن الحكمة تقتضي تغيير مسار الدعوة لمواجهة «قضايا العصر» أو أن دعوتنا موجهة للمسلمين و«لا وجود للشرك» بينهم.

مثل هذا الجدل (مع حسن الظن بنية المجادل وأن هذا مبلغه من العلم) مشاقة لله ولرسوله واتباع لغير سبيل المؤمنين في دين الله والدعوة إليه.

---

(٩) سورة البقرة آية : ١٣٦.

فتغيُّر الظروف بين نوح ومحمد ومن بعث بينهما عليهم الصلاة والسلام لم يغير نهج رسالاتهم.

وأسلوب التكرار من أساليب شرع الله، ومظهر من مظاهر الدعوة إلى الله، في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم... فقد تكرر ذكر قصص الأنبياء وأقوامهم إجمالاً وتفصيلاً في عدد من سور القرآن متتابعة ومتفرقة وتكررت الآية في السورة الواحدة وتكرر ذكر الإيمان والشرك والوعد والوعيد وعمل الخير والشر وجزاء الحسنة والسيئة وذكر الدنيا والآخرة.

وكان صلى الله عليه وسلم يكرر قراءة سور معينة في أوقات معينة.. حتى لقد حُفظت سورة (ق) من في رسول الله ﷺ حيث كان يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس(١٠).

وشبهة تغيير منهاج الدعوة لمواجهة قضايا العصر بينة البطلان.. فإن أهم قضايا هذا العصر وكل عصر: ما خلق الله له الجن والإنس من العبادة الخالصة لله والاستعداد بذلك للمستقبل الوحيد الذي لا شك فيه: الموت وسؤال القبر والبعث والحساب

---

(١٠) أخرجه مسلم (ح : ٨٧٢) و(٨٧٣) في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة.

والجزاء.

ولا يليق بمن يوظف نفسه في الدعوة إلى الله أن يظن أن المسلمين الصالحين في غير حاجة إلى الحث على توحيد العبودية والتحذير من الشرك فقد انتهت حياة النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما بدأت به بعثته، ومن ذلك:

١- عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد.. ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»(١١).

٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان مرض النبي صلى الله عليه وسلم تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها: مارية.. ـ وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتيتا أرض الحبشة ـ فذكرن من حسنها وتصاويرها.. قالت : فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال : «أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا

---

(١١) أخرجه مسلم (ح : ٥٣٢) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور. وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦/٢) عن الحارث النجراني رضي الله عنه.

على قبره مسجداً ثم صوروا تلك الصور.. أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[١٢].

٣- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، قالت: فلولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً[١٣].

٤- وعنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة له، فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو يقول: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» تقول عائشة رضي الله عنها : يحذّر مثل الذي صنعوا[١٤].

---

(١٢) أخرجه البخاري (١/٥٣١ ـ مع الفتح) في كتاب الصلاة باب الصلاة في البيع، ومسلم (ح : ٥٢٨)، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور، وأبو عوانة (١/٤٠٠)، والسياق له، وانظر «تحذير الساجد» للشيخ : محمد ناصر الدين الألباني، ص:١٧ (الطبعة الثالثة).

(١٣) أخرجه البخاري (٣/٢٠٠ ـ مع الفتح) في كتاب الجنائز باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، ومسلم (٥٢٩) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

(١٤) أخرجه البخاري (١/٥٣٢ ـ مع الفتح) في كتاب الصلاة باب حدثنا أبو=

٥- وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم «... واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(١٥).

كانت هذه آخر وصايا النبي صلى الله عليه وسلم (قدوة الدعاة) لآل بيته، وخلفائه، وصحبه (قدوة المسلمين بعده إلى يوم القيامة).

ولا يليق بمن يوظف نفسه في الدعوة إلى الله أن يبلغ به الجهل بمعنى التوحيد (الذي بدأت كل رسالة وكل دعوة إلى الله على بصيرة بتقريره، والدعوة إليه)، وبمعنى الشرك (الذي بدأت أيضاً بإنكاره والتحذير منه) ألا يميز مظاهر المخالفة لأهم أنواع التوحيد واستفحال أهم أنواع الشرك بين مسلمي هذا العصر.. وأن يحول انشغالهم بمناهجهم المبتدعة بينهم وبين العلم بما سيمتد إليه ذلك من سوء، يبين ذلك ما جاء في صحيح البخاري:

= اليمان، ومسلم (ح: ٥٣١) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

(١٥) صحيح. أخرجه أحمد (١/١٩٥، ١٩٦)، والطحاوي في «المشكل» (٤/١٣)، وصححه الألباني في «تحذير الساجد» (ص ٢١-٢٢).

ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى: **﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سُواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾**[١٦] أن هؤلاء الخمسة أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد .. حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت[١٧]، هكذا بدأ الشرك .. وعن نهايته يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

«لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة».. وكان صنماً تعبده دوس في الجاهلية بتبالة[١٨].

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قام هذا الوثن فشرَّف الله الدولة السعودية بهدمه كما هدمت غيره (من معالم الشرك والبدع التي لاتحصى) في عهدها الأول والحاضر.

---

(١٦) سورة نوح آية : ٢٣.

(١٧) أخرجه البخاري (٦٦٧/٨ ـ مع الفتح) في كتاب التفسير باب (وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق).

(١٨) أخرجه البخاري (٧٦/١٣ ـ مع الفتح) في كتاب الفتن باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان. ومسلم (ح : ٢٩٠٦) في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة.

ـ «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى»[١٩].

وبين البداية والنهاية أشرك اليهود والنصارى بمثل ما أشرك به قوم نوح.. بنوا على قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد وتقربوا إلى الله بها، وعلى رغم تحذير النبي صلى الله عليه وسلم أمته مثل الذي صنع من قبلهم (حتى اللحظات الأخيرة من حياته) قامت في القرون المتأخرة من أمته أنصاب الجاهلية الأولى على قبور الأنبياء والصالحين في مخالفة صريحة لأول وآخر وصايا النبي صلى الله عليه وسلم.. بل بلغ الأمر من السوء أن نافس بعض المسلمين بقايا أهل الكتاب وسابقوهم للاستحواذ على الأنصاب والمساجد المبنية على القبور والتقرب إلى الله بالشرك.

أوضح الأمثلة على ذلك مدفن الخليل المزعوم في فلسطين، الذي ابتدع تقديسه اليهود ثم النصارى ثم المسلمون مع اليهود.

وهكذا عادت الوثنية إلى بلاد المسلمين باسم عبادة الله والتقرب إليه وحبه أو عشقه.. وحب أو عشق الأنبياء والصالحين .. وليضمن الشيطان استساغة المسلم ذلك لم تسم أوثاناً ولا أصناماً وإنما سميت الأنصاب: أضرحة ومقامات ومشاهد ومزارات ينسب إليها من التقديس مالا يحصل عليه بيت من بيوت

(١٩) أخرجه مسلم (ح : ٢٩٠٧) في الكتاب، والباب قبله.

الله الخالصة من الشرك.

وإن من المسلمين في بلاد الإسلام من يذبح للجن في البيوت المنكوبة اتقاءً لشرهم.. وعلى درج البيت الجديد، ومقدمة السيارة الجديدة لدرء المصائب.. ويضع حذوة، وقطعة من العجين على الباب ليلة الزواج، وصورة كف وعين على مؤخرة السيارة لدفع الحسد والبلوى، ويذبح بلا تسمية ليعيش الجنين .. ويأتي العراف يسأله ويصدقه، ولا يخطر بباله أنه كفر بربه.

وبعد هذا ـ ومثله كثير ـ هل يمنحنا الانتماء للإسلام حصانة من لقب الشرك وعاقبته إذا تلبسنا به في قلوبنا ومساجدنا وبيوتنا؟ وهل نملك الإيمان بالتحلي أو بالتمني؟

لقد قال الله تعالى لمن قبلنا: **﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾**(٢٠).

وقال تعالى: **﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين﴾**(٢١).

---

(٢٠) سورة البقرة آية : ٤٧، ١٢٢.

(٢١) سورة الجاثية آية : ١٦.

فلم يغنهم تفضيل الله لهم في زمانهم ولم يمنعهم وجود الرُّسل بينهم من الضلال والعقاب. والالتزام ببعض الطاعات لا يعصم من الشرك فقد شهد الله للمشركين بأنهم كانوا يسقون الحاج ويعمرون المسجد الحرام: ﴿**أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله**﴾(٢٢).. وأنهم كانوا يستغفرون الله: ﴿**وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**﴾(٢٣).. وأنهم يوحدونه بالخلق والرزق والملك والتدبير: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم**﴾(٢٤). ﴿**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله**﴾(٢٥). ﴿**قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون**﴾(٢٦).

---

(٢٢) سورة التوبة آية : ١٩.
(٢٣) سورة الأنفال آية : ٣٣.
(٢٤) سورة الزخرف آية : ٩.
(٢٥) سورة الزخرف آية : ٨٧.
(٢٦) سورة يونس آية : ٣١.

وأنهم في الشدة يخلصون لله الدعاء والدين، وإنما كان شركهم في الرخاء: **﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾**(٢٧).. بينما نجد بعض المسلمين يشركون أولياءهم الأموات مع الحي الذي لا يموت في الرخاء والشدة، في البر والبحر، في الصحة والمرض يدعونهم ويستغيثون بهم ويطلبون منهم المدد.

ولا يجوز لمسلم أن يعتذر لاستمرار وجود الشرك بين المسلمين بحسن النية أو الجهل أو التقرب إلى الله.. فقد وصف الله المشركين الأوائل بمثل هذه الأوصاف: قال الله تعالى : **﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾**(٢٨).

﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾(٢٩). **﴿قل أفغير الله تأمرونّي أعبد أيها الجاهلون﴾**(٣٠).

---

(٢٧) سورة العنكبوت آية : ٦٥.
(٢٨) سورة الأعراف آية : ٣٠.
(٢٩) سورة الكهف آية : ١٠٤.
(٣٠) سورة الزمر آية : ٦٤.

﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾(٣١). **﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾**(٣٢).

وثبت أنهم كانوا يقولون في التلبية : «لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»(٣٣).

إذن .. لا مناص من الاعتراف بتسلل وتغلغل الشرك في حياة المسلم المعاصر وعبادته .. وأن أكثر مسلمي هذا العصر بين مُقِرٍّ له أو مدافع عن مرتكبيه أو ساكت عن التحذير منه، ومن بين هؤلاء أكثر الدعاة إلى الله والخطباء والوعاظ والكتاب والمفكرين «الإسلاميين».. وهم بين جاهل بحقيقة الأمر، وخائف على سمعته ومكانة حزبه بين المبتدعة، لأن الابتداع دين الأغلبية في العصور المتأخرة. نسأل الله الثبات على الحق.

وإن من أهم أسباب رسوخ هذا الفساد في العالم المسلم منذ قرون: الجهل بالمعنى والمقصد الأساس لكلمة التوحيد وقاعدة الدين

---

(٣١) سورة يونس آية : ١٨.

(٣٢) سورة الزمر آية : ٣.

(٣٣) أخرجه مسلم (ح : ١١٨٥) في كتاب الحج باب التلبية وصفتها ووقتها. وانظر : «البداية» لابن كثير (١٧٤/٢ - ١٧٥).

الحق: (لا إله إلا الله).

فغالبية عوام المسلمين يظنون أنها تعني أول وآخر ما تعني: الإيمان بوحدانية الله في الخلق والرزق والإحياء والإماتة والنفع والضر والتدبير أو الربوبية وحدها.. ولو كان هذا صحيحاً لما ردّها المشركون من قريش ولما قالوا : ﴿**أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب**﴾[٣٤] والله يشهد لهم بأنهم يفردونه بالربوبية كما تقدم ص٢٧ .

وغالبية مثقفي المسلمين يظنون أنها تعني أول ما تعني: الإيمان بوحدانية الله فيما سمّوه (الحاكمية).. ولو كان الأمر كذلك لما ردها مشركو قريش وما كان أهون عليهم من عرض المال والملك على النبي صلى الله عليه وسلم في مقابل تنازله عن (لا إله إلا الله).. وما نازعهم ولا نازعوه في ملك ولا مال.

ولكن تدبر كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واستقراء السيرة لا يبقي مجالاً للشك عند أي مسلم سَويّ في أن : (لا إله إلا الله) تعني فوق كل أمر وأساس كل أمر: إفراد الله بالعبادة

---

(٣٤) سورة ص آية : ٥.

ونفيها عما سواه.. وأن أبا جهل وغيره من مشركي قريش عقلوا هذا المعنى فردّوا كلمة التوحيد لأنها تهدم ما وجدوا عليه آباءهم من جمع بين الخالق والمخلوق في العبودية؛ وجهل معناها أكثر خلف المسلمين فلم يروا بأساً في الجمع بين توحيد الله في ربوبيته وبين الشرك به في عبادته.

ولو عقل أكثر المسلمين ذلك في العصور المتأخرة لما قامت الأنصاب على القبور وفي المساجد. ولما وجدت هذه الطوائف والطرق والأحزاب والفرق تقطع الطريق بين العبد والعبودية الخالصة لمولاه، وتحتكر لنفسها إيصال المخلوق لخالقه وهو أقرب إليه من حبل الوريد، ولما وجدت هذه البيعات الطرقية والطائفية والحزبية تستعبد المسلم الحر وتحكم ولاءه وانتماءه وترسم له طريقاً غير طريق رسوله صلى الله عليه وسلم في العلم والعمل والدعوة والذكر... وتقف سداً بينه وبين العلم الشرعي والعمل الشرعي والدعوة على بصيرة من نصوص الكتاب والسنة وفقه الأئمة. ولما انتشرت الخرافات والبدع الأصلية والإضافية والتركية تشوّه العبادات في القلوب والمساجد والمراكز والمدارس الإسلامية والاتجاه الديني بمختلف أشكاله وألوانه.

تمييز جزيرة العرب بالدين والدعوة

اختار الله جزيرة العرب واصطفاها وميّزها بأمور عظيمة، من أهمها:

١- جعل بيته الحرام فيها قياماً للناس ومثابة وأمناً.

٢- انطلاق رسالة الله الأخيرة منها إلى الثقلين في كل زمان ومكان.

٣- اختيار لغتها لبيان شرع الله الكامل واختيار خير رسله من أهلها.

٤- تفضيل العبادة في المسجد الحرام ثم المسجد النبوي فيها على العبادة في سائر بيوت الله.

٥- الحكم بتطهيرها من الشرك وأهله حتى لا يجتمع فيها دينان وحتى تبقى شريعة الله فيها بلا منافس ولا مضاد.

ومع أن جزيرة العرب تأثرت (بعد القرون المفضلة) بما انتشر في الأمصار الإسلامية من اختلاف وانحراف في العقيدة والعبادة. فإن الله سبحانه وتعالى ميّز هذه الجزيرة مرة أخرى بزوال آثار هذا الاختلاف والانحراف فوحّدها (في عهد دولة التوحيد) في أوائل

القرن الثالث عشر ثم في منتصف القرن الرابع عشر الهجري على العقيدة الصافية من الشرك والعبادة الصافية من الابتداع.

ومن هنا نجدها بعد أكثر من ألف وأربعمائة عام من الهجرة متميزة عن غيرها من بلاد الإسلام والكفر بما يأتي:

١- قيام دولتها على الدعوة إلى توحيد العبودية والسنة.

٢- تحكيم شرع الله وإقامة حدوده.

٣- اتخاذ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله راية لها ينصرف لها التعظيم إذا زين التقليد للمسلم تعظيم الشعارات والرموز، وتظل مرتفعة في كل مكان إذا نكست الرايات لموت العظماء.

٤- خلوّ أرضها من التماثيل والنصب والأوثان والأضرحة والمقامات والمشاهد والمزارات. ومن كل رمز يصرف له شيء من العبادة والتعظيم مع الله.

٥- خلو مساجدها من البدع، وأسواقها من المحرمات الظاهرة.

٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله على منهج النبوة وظيفة رسمية مستقلة في نظامها الإداري.

٧- الأذان للصلاة فيها إيذان إجباري بترك البيع والتجارة والعمل واللهو حتى تقضى الصلاة .. كما أمر الله.

٨- فرض الحجاب.. وفصل الرجال عن النساء في جميع مراحل العلم والعمل.

٩- لا تمنح جنسيتها إلا لمسلم تنفيذاً لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يجتمع فيها دينان[1] وقوله : «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً»[2].

---

(١) صحيح. أخرجه مالك في «الموطأ» (٨٩٢/٢) وعنه البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٨/٩) مرسلاً عن عمر بن عبد العزيز، وأخرجه مالك (٨٩٢/٢) وعنه البيهقي (٢٠٨/٩) أيضاً عن محمد بن شهاب الزهري مرسلاً. ووصله صالح ابن أبي الأخضر عن سعيد عن أبي هريرة. أخرجه البزار في «مسنده» (٩٤/٢ ـ كشف الأستار) وإسحق بن راهويه في «مسنده» كما في «نصب الراية» للزيلعي (٤٥٤/٣).

قال الهيثمي في : «مجمع الزوائد» (١٢١/٤) بعد عزوه إلى البزار: «وفيه صالح ابن أبي الأخضر، وهو ضعيف، وقد وثق». وأخرجه أحمد (٢٧٤/٦ ـ ٢٧٥) بسند حسن عن عائشة به مرفوعاً. وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٨/٩). وفي إسناده ضعف. وانظر «نصب الراية» (٤٥٤/٣) و«التلخيص الحبير» (١٢٤/٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير باب إخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب (ح : ١٧٦٧).

ولهذا ميزت جزيرة العرب في هذه الدراسة... فلا زالت (مع ما لحقها من نقص وتقصير) تملك الحق في اتخاذها قدوة لكل مسلم... وأن يرى فيها الدعاة (خاصة) وغيرهم (عامة) تحقق وعد الله للمؤمنين والصالحين منهم بالاستخلاف في الأرض والتمكين في الدين الحق والأمن والبسطة في الرزق.

فهذا تجديد دعوة التوحيد يبدأ قبل قرنين في قرية صغيرة من صحراء جزيرة العرب القاحلة الممزقة إلى إمارات صغيرة لا تملك شيئاً يذكر من حظ الدنيا أو الآخرة، فيوحد الله بها أهل الجزيرة بعد الفرقة ويطعمهم بعد الجوع ويؤمنهم بعد الخوف، ويحوِّل الله بها معظم الجزيرة دولة واحدة مترامية الأطراف مميزة في دينها ودنياها يقصدها طالب العلم والدين وطالب الأمن والمال من كل مكان.

منهاج الدعوة الأصيل في جزيرة العرب

تتميز الدعوة التي قامت عليها الجماعة الحاضرة في جزيرة العرب عن مناهج الدعوة الحديثة الأخرى (التي لم توفق إلى ما وفقت إليه) بما يأتي:

١- لم تقم على أساس انفصالي عن جماعة المسلمين الملتزمين بشرع الله، بل كل مسلم متمسك بالكتاب والسنة فهو ينسب إليها.

٢- لم ترتض لنفسها اسماً أو عنواناً يعزلها عن تسمية الله لهذه الأمة: ﴿**هو سمَّاكم المسلمين من قبل وفي هذا..**﴾[٣].

٣- لم تنتم إلى فرد من البشر غير محمد ﷺ.

٤- لم تدن لله بعقيدة غير عقيدة السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المعتد بهم رضي الله عنهم أجمعين.

٥- لم تلتزم بمذهب فقهي غير مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ أحد المذاهب المعتد بها بين أهل السنة.

٦- لم تعط ولم تأخذ بيعة غير البيعة الشرعية لولي الأمر.

---

(٣) سورة الحج آية : ٧٨.

٧- لم ترفع رمزاً أو شعاراً غير شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٨- تتبعت خطا رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته إلى الله بأمر الله فبدأت بما بدأ به رسول الله والرسل من قبله بتوحيد الله بالعبادة وعدم صرفها لغيره ولو كان مَلَكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو ولياً شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة.

٩- تتبعت خطا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتماس الحماية البشرية بإذن الله للدعوة الوليدة حتى تبلغ أمر الله.

١٠- ولما اشتد ساعدها أقامت الحدود وحكّمت شرع الله في جميع أمور الدين والدنيا وجاهدت **﴿حتى لا تكون فتنة ويكون الدِّين كله لله﴾**(٤).

١١- هداها الله لما هدى له الخليفة الراشد أبا بكر الصديق رضي الله عنه في قتال المرتدين من المسلمين بمنع الزكاة فلم تتهيب قتال المرتدين من المسلمين بما هو أعظم من منع الزكاة وهو الشرك بالله بصرف بعض العبادة لغيره وطلب النفع ودفع الضر من غيره فيما لا يقدر عليه سواه.

---

(٤) سورة الأنفال آية : ٣٩.

وصدق الله وعده وأعز جنده ونصر عباده الداعين إلى دينه الحق.. ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾(٥) وسقطت أوثان الأضرحة والقبب والأشجار والأحجار مرّتين بعد أن أعادها الجهل والانحراف إلى جزيرة العرب.

واستخلف الله عباده الموحدين في أرض الجزيرة كما استخلف الذين من قبلهم ومكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وبدّلهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونه لا يشركون به شيئاً.

وفتح الله لهم خزائن الأرض فجمع لهم خير الدنيا إلى خير الدين. وجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ورزقهم من ثمرات الأرض كلها لعلهم يشكرون. وسيبقى الأمر كذلك بإذن الله ما حفظوا عهدهم مع الله، ثبتهم الله على ذلك وزادهم هدى.

وعادت الدعوة إلى الله على بصيرة تنطلق من جزيرة العرب إلى مشارق الأرض ومغاربها بتوظيف الدعاة وتأسيس معاهد العلم الشرعي ونشر كتبه. وأنتجت بفضل الله أئمة يهدون بأمر الله ويدعون إلى سبيله على النهج الذي ارتضاه لرسله في الداخل والخارج.

---

(٥) سورة الإسراء آية : ٨١.

الجماعات الإسلامية في جزيرة العرب

في العقدين الماضيين (على الأخص) هبت على جزيرة العرب رياح بعض الحركات الاصلاحية التي ظهرت في القرن الماضي خارجها.. وكانت الحركات المعنية قبل ذلك تعيش فترة الركود التي شملت التدين الصالح والطالح في بلاد الإسلام وبلاد الكفر ثم غيّر الله الحال بين عشية وضحاها لأمر يريده سبحانه بلا سبب ظاهر وإن ادعاه كلّ حزبي لحزبه.

و ظهر الاتجاه إلى الدين فاهتدى إلى الحق قليل من الناس وضل الأكثرون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

أما فيما مضى فلم تعرف الجزيرة كثيراً عن هذه الحركات ولم يتأثر بها غير قلة من بنيها غرّهم من بريقها ما جعلهم يستبدلون الذي هو أدنى (جماعاتهم الجديدة) بالذي هو خير (الدعوة الشرعية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين لهم بإحسان وتجديدها في القرنين الأخيرين).

ومن الواضح أنه لم يتحقق لأي من هذه الحركات الوافدة سلامة المنهج، ولم يتخلص معظمها من آثار الانحراف في البيئات

التي نشأت فيها، لذلك لم تؤثر شيئاً يذكر في تصحيح عقائد وعبادات البشر المحيط بها فعلى مسافة يسيرة من مراكزها تجثم أنصاب الشرك من الأضرحة ومعابد الوثنية، يحج إلى بعضها من المسلمين أكثر ممن يحج إلى بيت الله الحرام، وتطغى البدع على العبادات والمساجد، وتطغى الخرافات على القلوب.

ولذلك لم يحصل أي منها على ما وعد الله به المؤمنين الصالحين الداعين إلى الله على بصيرة من الاستخلاف في الأرض والتمكين والأمن في أوطانها.

ومن أبرز هذه الجماعات وأوسعها انتشاراً وأكثرها عدداً جماعة التبليغ وجماعة الإخوان المسلمين:

الأولى : ظهرت في الهند، والثانية في مصر: في منتصف القرن الرابع عشر من الهجرة.

الهدف المعلن للأولى: إصلاح المسلم بالانتقال به من بيئة الغفلة إلى بيئة الذكر. وللثانية: الحكم بما أنزل الله وأسلَمة الثقافة العلمانية.

كلتا الحركتين تأثر مؤسسها بالطرق الصوفية : فأما الحركة الأولى فقد تأثرت بالجشتية والنقشبندية والقادرية

والسهروردية[٦]. والحركة الثانية بالحصافية[٧]، وكلتاهما استخدمت البيعة المبتدعة في الدين في ربط أفرادها بها.

وكلتاهما أخطأت في فهم معنى ومقصد (لا إله إلا الله)؛ الأولى: خصّتها بالربوبية، والثانية: خصتها بالحاكمية.

وكلتاهما آثرت السلامة من مغبة مناهضة الابتداع في الدين؛ الأولى : بدعوى عدم التعرض للخلافات ونشر أمراض الأمة، والثانية : بدعوى الخلاف في حكم البدع الإضافية والتركية والتوسل بالمخلوق في الدعاء[٨].

ومع مرور الزمن تردّى كل منهما إلى غاية تجميع الناس (على اختلاف اتجاهاتهم) حولها والحرص على تحقيق المكاسب الدنيوية معنوية أو مادية لقيادتها أو أفرادها.

وقد يلتمس لهما العذر في القناعة بما حققتا من نتائج ثانوية في مجتمعاتهما القائمة على التعصب للمذهب الفقهي والتشدد فيه

---

(٦) جمعة التبليغ ـ عقيدتها وأفكار مشايخها.. ميان محمد أسلم.. بحث علمي مقدم لنيل الشهادة العالية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ٩٦ - ١٣٩٧ هـ ص: ١٣، ٤٢.

(٧) مذكرات الدعوة والداعية .. حسن البنا، ط. الزهراء للاعلام العربي ١٤١٠هـ ص ٢٧ ـ ٣٩ و٥٢ ـ ٥٨,

(٨) مجموعة رسائل حسن البنا : رسالة التعاليم، ص : ٢٧٠ط . المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر.

(حيث تشرع المرونة والتوسعة) والتنكر للمذهب نفسه في العقيدة والتساهل فيها (حيث يشرع الاحتياط والحذر والحزم والتقيد بالكتاب والسنة نصاً وفقهاً، وسد ذرائع الشرك ومنع جميع وسائله وأسبابه وقطع جميع أسباب الابتداع في الدين).

ولكن كلاً منهما بوصولها إلى جزيرة العرب واجتذابها عدداً من أبنائها هددت مستقبل العقيدة في عقر دارها وملاذها في هذا العصر، فقد تمكن كل منهما بطريقته الخاصة من تذليل أتباعه من أبناء الجزيرة وكسر صلابتهم وتضييع أصالتهم المميزة في فهم وتطبيق ونشر توحيد العبودية والنفور من الشرك والبدعة والخرافة وأهلها، وفي المحافظة على ترتيب الأوليات في العلم والعبادة والدعوة إلى ذلك والصبر على الأذى فيه.

وفي هذا اليوم قبل الغد نجد أن الميزة الشرعية العظيمة (ميزة الاحتياط والحزم في أمر العقيدة والنفور من كل ما يخالفها أو يهددها) تفقد تدريجياً بين أبناء جزيرة العرب المنتمين إلى الجماعات الإسلامية الوافدة من مناطق الشرك والبدع والجهل.

وفي ثوب أحدهم نجد مسخاً لطبعته الحزبية «المنسوبة إلى الدين» بطابعها التقليدي المتميز عن طابع المسلم الحر الأصيل إلى

درجة لم يعد من العسير معها التعرف على الحركة الدخيلة التي تقوده من مظهره وتصرفه ودعوته، فالتبليغي غالباً: متواضع المظهر، حسن الخلق، يعطيك وكأنه يأخذ منك، حريص على الطاعات والالتزام بسنن العادات وما يعرف من سنن العبادات، ضعيف الشخصية لين العريكة الدينية، قليل الحظ من العلوم الدينية والدنيوية.

موضوع دعوته: الرقائق بأسلوب القص وضرب الأمثال الشائعة ورواية الأحاديث المشتهرة على ألسن العوام والاستشهاد على صحة منهج حزبه بالأحلام والكرامات والنتائج المبالغ فيها. التوحيد عنده: معرفة الله بربوبيته وعظمته، والشرك الأكبر عنده: الاشتغال بالتجارة أو الشواغل غيرها عن العبادة والدعوة التبليغية.

والإخواني غالباً: حريص على مظهره بما في ذلك حف لحيته، متعال على غيره، يأخذ منك وكأنه يعطيك، مثقف دنيوياً، قليل البضاعة من العلوم الشرعية. موضوع دعوته: محاولة الجمع بين شرع الله والثقافة العلمانية. والعلاقة بين الحاكم والمحكوم.

التوحيد عنده: إثبات وجود الله بواسطة العلوم العصرية، وتطبيق الحاكم للأحكام الشرعية بطريقة عصرية، والشرك الأكبر

عنده: الحكم بالقوانين الوضعية.

ولقد ظهرت شواهد خطيرة على بدء تفتيت هذه الجماعات لوحدة جزيرة العرب في العقيدة والعبادة والمنهج. ومن أبرزها حج أبناء الجزيرة إلى مراكز جماعاتهم في القارة الهندية وفي الأمصار العربية، والمؤاخاة على منهج غير الكتاب والسنة، والبيعات الحزبية السياسية المحرمة المنسوبة إلى الدين، والاستسلام للمناهج الدخيلة، والطاعة العمياء للقائمين عليها، والشقاق بين أخوة العقيدة والسنة في ملاذ العقيدة والسنة.

ومما يدمي القلب ويثير الخوف على مستقبل العقيدة في جزيرة العرب أن ترى بدوياً من قرى الجزيرة يتقرب إلى الله بالسفر إلى بلاد يغلب عليها الشرك ليقيم ثلاثة أيام في مسجد بني على وثن (قبر) مقام يحذر أهله من الاشتغال بالتجارة أو غيرها من الشواغل عن الدعوة التبليغية.

ومما يدمي القلب ويثير الخوف على مستقبل العقيدة في جزيرة العرب أن يفصل أحد قادة هذه الجماعات من مؤسسة علمية شرعية لثبوت فساد عقيدته فيبذل تلاميذه المثقفون من أبناء الجزيرة جهدهم لإعادة التعاقد معه في وظيفة علمية شرعية أخرى.

ومما يدمي القلب ويثير الخوف على مستقبل العقيدة والدعوة في جزيرة العرب أن ينصرف بعض الدعاة من أبنائها عن الأصالة والبساطة في منهاج الدعوة النبوي إلى ما زيّن لهم شركاؤهم في الجماعات المحدثة من الدعوة بالخطب الصاخبة التي تهاجم أهدافاً خيالية، ومحاولة إثبات وجود الله وصحة شرعه بنظريات العلوم العصرية من نتاج العقول الملحدة مما سموه إعجازاً علمياً وهو قائم على الظن والوهم والاحتمال، فوقعوا (أو كادوا) فيما وقع فيه من قبلهم ممن حاول معرفة الله بعلم الكلام من نتاج الفلسفة اليونانية الهندية. وبئس مصير من يستدل على الحقيقة بالخيال وعلى اليقين بالظن، ومن يستبدل شريعة المخلوق بشريعة الخالق. والله المستعان ومنه الهداية.

حكم الشرع في وجود الجماعات الإسلامية

في فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء (من هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية) رقم : ١٦٧٤ في ١٠/٧/ ١٣٩٧هـ حكم صريح بعدم شرعية وجود هذه الجماعات مالم يستند وجودها إلى قرار من ولي الأمر لخير الأمة كافة، ونص الفتوى: «لا يجوز أن يتفرق المسلمون في دينهم شيعاً وأحزاباً يلعن بعضهم بعضاً ويضرب بعضهم رقاب بعض، فإن هذا التفرق مما نهى الله عنه ونعى على من أحدثه أو تابع أهله، وتوعد فاعليه بالعذاب العظيم. وقد برأ الله رسوله صلى الله عليه وسلم منه، قال تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾** إلى قوله تعالى: **﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾**(٩) الآيات. وقال تعالى: **﴿إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون. من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾**(١٠).

---

(٩) سورة آل عمران، آية : ١٠٣ – ١٠٥.

(١٠) سورة الأنعام، آية: ١٥٩ – ١٦٠.

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[١١]، والآيات والأحاديث في ذم التفرق في الدين كثيرة.

أما إذا كان ولي أمر المسلمين هو الذي نظمهم ووزع بينهم أعمال الحياة ومرافقها الدينية والدنيوية ليقوم كل بواجبه في جانب من جوانب الدين والدنيا فهذا مشروع، بل واجب على ولي أمر المسلمين أن يوزع رعيته على واجبات الدين والدنيا على اختلاف أنواعها فيجعل جماعة لخدمة علم الحديث من جهة نقله وتدوينه وتمييز صحيحه من سقيمه..الخ. وجماعة أخرى لخدمة فقه متونه تدويناً وتعلماً وتعليماً. وثالثة لخدمة اللغة العربية قواعدها ومفرداتها وبيان أساليبها والكشف عن أسرارها. وإعداد جماعة رابعة للجهاد وللدفاع عن بلاد الإسلام وفتح الفتوح وتذليل العقبات لنشر الإسلام، وأخرى للانتاج: صناعة وتجارة وزراعة.. إلى آخره. فهذا من ضرورات الحياة التي لا تقوم للأمة قائمة إلا بها ولا يحفظ

---

(١١) أخرجه البخاري (٢١٧/١ ـ مع الفتح) في كتاب العلم باب الإنصات للعلماء، ومسلم (ح : ٦٥)، (٦٦) في كتاب الإيمان باب معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا ترجعوا بعدي كفاراً).

الإسلام ولا ينتشر إلا عن طريقه. هذا مع اعتصام الجميع بكتاب الله وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الخلفاء الراشدون وسلف الأمة ووحدة الهدف وتعاون جميع الطوائف الإسلامية على نصرة الإسلام والذود عن حياضه وتحقيق وسائل الحياة السعيدة وسير الجميع في ظل الإسلام وتحت لوائه على صراط الله المستقيم وتجنبهم السبل المضلة والفرق الهالكة.. قال الله تعالى: **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾**[١٢][١٣].

تبين من هذا أن مجرد قيام جماعة أو حزب أو طائفة أو فرقة وتميزها عن جماعة المسلمين باسم غير الاسم الذي عم الله به الأمة: **﴿هو سماكم المسلمين﴾**[١٤]، أو تميزها بمنهاج أو عبادة لم يأذن بها الله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسبيل المؤمنين من أصحابه. أو انعزالها بمركز خاص أو أمير غير ولي الأمر أو بيعة دينية

---

(١٢) سورة الأنعام، آية: ١٥٣.

(١٣) وقعها كل من رئيس اللجنة الشيخ/ عبد العزيز بن عبدالله بن باز، ونائب الرئيس الشيخ/ عبد الرزاق عفيفي، وعضو اللجنة الشيخ/ عبدالله بن قعود، وعضو اللجنة الشيخ/ عبدالله بن غديان.

(١٤) سورة الحج آية: ٧٨.

أو سياسية غير البيعة العامة لولي الأمر. كل ذلك أو بعضه خروج عن جماعة المسلمين وتشتيت لشملها وتقطيع لأمرها زبراً انتهى بأهله إلى التعصب والتنازع والفشل وذهاب الريح والموالاة في الحزب والمعاداة فيه والحب فيه والبغض فيه بدعوى أن ذلك كله في الله.

بل لقد وصل الأمر بالمسلمين نتيجة لتعدد الجماعات والأحزاب والفرق والطوائف إلى أن تعدى بعضهم على بعض بالتهم والاشاعات الكاذبة والسباب حتى قتل رفقاء الجهاد والدعوة بعضهم بعضاً.

والعجب كل العجب أن يدعي أكثر الحزبيين أن همهم الأول تجميع الصفوف ووحدة المسلمين وفي سبيل ذلك رأوا أنه لا يجوز إنكار البدع ولا بيان مسائل العقيدة التي اختلف عليها المسلمون في العصور المتأخرة حتى لا يكاد وجه الحق يعرف فيها بين أكثرية المسلمين.

كيف تتجمع الصفوف ويتحد المسلمون بتفرّقهم جماعات وطوائف وأحزاب مختلفة يحاول كل طرف فيها أن يثبت أنه على الحق وغيره على الباطل، يؤيد حزبه ويعارض الأحزاب الأخرى،

يجمع التبرعات لجماعته ويحاول أن يصرفها عن غيرها؟

أم كيف تتجمع الصفوف ويتحد المسلمين على عقائد مختلفة وعلى مناهج مبتدعة وعلى عبادات لم يكن عليها أمر محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه رضي الله عنهم؟

إن السنة هي أساس الاتحاد والائتلاف، وأصل جمع الصفوف وسفينة النجاة وملاك إدراك الظفر بالمطلوب، والفوز بالمرغوب، ونجاح الأهداف.

والبدعة مادة الافتراق والاختلاف، وعامل تصدع الصفوف ومطية الفشل والاخفاق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «البدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال أهل البدعة والفرقة»(١٥).

قال الله تعالى: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا**﴾(١٦) ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان**﴾(١٧). فالاتحاد والتعاون لاخير فيه إلا ماكان على منهاج

(١٥) الاستقامة : ٤٢/١. (١٦) سورة آل عمران آية: ١٠٣

(١٧) سورة المائدة آية: ٢ .

النبّوة المعصومة وماعداه أقرب إلى حميَّةِ الجاهلية.

مناهج الدعوة الوافدة بالتفصيل

سأحاول فيما يأتي عرض مناهج أكبر الجماعات الوافدة إلى جزيرة العرب في هذا العصر: جماعة التبليغ وجماعة الإخوان المسلمين.

أما الأولى : فسأستند إلى خبرتي فيها خلال ثمانية أعوام تقريباً (١٣٩٧-١٤٠٤) لعدم صدور وثائق عنها من قيادتها وقلة ما كتب عنها من خارجها، وإلى رسالة الشيخ/ ميان محمد أسلم(١٨).

وأما الثانية: فسأترك الحديث عنها في الغالب لقادتها ومؤيديها.. راجياً من الله التسديد.

وأبدأ بتقرير حسن ظني بمؤسسي وأفراد الحركتين وكل الجماعات الإسلامية المعاصرة في النية والهدف وإرادة الخير واختيار ما يغلب على الظن أنه الصواب وهذا لايغني عن العبد شيئاً إذا لم يكن عمله موافقاً لمنهاج النبوة؛ فقد قال الله عن شر خلقه: **﴿إنهم اتّخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾**(١٩).

(١٨) أوثق دراسة كتبت عنها لمعرفته بلغة أهلها وخبرته بها نحواً من خمس عشرة سنة.
(١٩) سورة الأعراف، آية: ٣٠ .

وأؤكد أن هذه الحركات نفعت العالَم المسلم بجمع عدد من أفراده على عمل أو أكثر من أعمال الخير.

ولكني وقد أوضحت فيما مضى أن منهاج الدعوة الأصيل في جزيرة العرب قد احتذى حذو منهاج الدعوة النبوي القدوة الأولى والأخيرة لهذه الأمة فإني مهتم هنا بإظهار مخالفة هذه الحركات الوافدة له وخطرها عليه وعلى حاضر ومستقبل الدعوة إلى الله على بصيرة، بصفة عامة.

جماعة التبليغ

مؤسسها:

بدأ هذه الحركة في منتصف القرن الرابع عشر الهجري الشيخ/ محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي[1].

حفظ القرآن وقرأ الكتب الستة في الحديث على المنهج الديوبندي الحنفي مذهباً، الأشعري ـ الماتوريدي عقيدة.. الصوفي طريقة.

أخذ البيعة الصوفية على يد الشيخ/ رشيد أحمد الكنكوهي ثم جددها بعد موت الشيخ/ رشيد، على يد الشيخ/ أحمد السهارنفوري الذي أجازه في مبايعة غيره على النهج الصوفي المعروف.

كان يجلس في الخلوة عند قبر الشيخ/ نور محمد البدايوني وفي المراقبة الجشتية عند قبر/ عبد القدوس الكنكوهي[2] الذي كانت تسيطر عليه فكرة وحدة الوجود[3].

---

(١) ولد عام ١٣٠٢ هـ، وتوفي عام ١٣٦٣ هـ – ١٩٤٤م.

(٢) جماعة التبليغ: ميان محمد أسلم، ص:١٢ – ١٣.

(٣) الإمام السرهندي حياته وأعماله.. أبو الحسن الندوي، ص:١١٨.

أقام ودرس ودَرّس ومات في دلهي ـ الهند.

له من الولد: الشيخ/ محمد يوسف الكاندهلوي الأمير الثاني للجماعة.. وبنت تزوجها الشيخ محمد زكريا مؤلف «تبليغي نصاب» ـ منهج الجماعة لغير العرب[٤].

نشاتها:

يرى الشيخ/ أبو الحسن الندوي أن الشيخ/ محمد إلياس لجأ إلى هذه الطريقة في الدعوة بعد أن أعيته السبل التقليدية في إصلاح أهل منطقته[٥].

وينقل الشيخ ميان محمد أسلم عن «ملفوظات الياس» لمحمد منظور النعماني قول الشيخ/ محمد إلياس نفسه: أنه «انكشف على هذه الطريقة بأن ألقي في روعه في المنام تفسير جديد لقوله تعالى **﴿كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم﴾**[٦]

---

(٤) جماعة التبليغ ـ ميان محمد أسلم.. ص: ١٢-١٣.

(٥) من رسالة للشيخ أبي الحسن الندوي كتبها للشيخ/ عبد العزيز بن باز تأييداً للجماعة في ١٤٠١/٥/١٨ هـ.

(٦) سورة آل عمران، آية : ١١٠.

يقتضي «الخروج» للدعوة إلى الله فإنها لا تتحقق بالإقامة في مكان واحد بدليل قوله: ﴿أخرجت﴾ وأن الإيمان يزداد بهذا الخروج بدليل ورود قوله: ﴿تؤمنون بالله﴾ بعد قوله : ﴿أخرجت للناس﴾ وبعد قوله : ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ وأن معنى : ﴿أمّة﴾ العرب، ومعنى ﴿الناس﴾ الأعاجم، أما العرب فقد قال الله في حقهم: ﴿لست عليهم بمصيطر﴾[٧] وقال: ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾[٨] وأن النية في الدعوة إصلاح النفس بدليل قوله: ﴿تؤمنون﴾ وقوله : ﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم﴾ ولم يقل خيراً لكم»[٩].

وينقل الشيخ/ ميان محمد أسلم أيضاً عن كتاب : «الشيخ/ محمد إلياس ودعوته الدينية» للشيخ/ أبي الحسن الندوي قول الشيخ/ محمد إلياس أنه أمر أثناء اقامته بالمدينة النبوية بالقيام بالتبليغ وقيل له «نستخدمك». وأنه كان يحس ثقلاً عند الذكر فشكى إلى شيخ طريقته رشيد أحمد، فارتعد الأخير وقال: شكا مثل هذا

---

(٧) سورة الغاشية، آية : ٢٢.

(٨) سورة الأنعام، آية : ١٠٧.

(٩) جماعة التبليغ.. ميان محمد أسلم.. ص: ١٤.

الشيخ/ محمد قاسم إلى حاجي امداد الله[١٠].

ونقلاً عن «سوانح قاسمي»: أجاب حاجي امداد الله بأن «هذا فيضان النبوة على قلبك، وهذا الثقل هو ما كان يحسه النبي صلى الله عليه وسلم وقت الوحي فيستخدمك الله بعمل كان يفعله الأنبياء»[١١].

أما أصول الجماعة الستة (أو الصفات الست) فلعل الشيخ/ محمد إلياس اقتبسها من الحركة النورسية التي أسسها في تركيا الشيخ/ محمد سعيد النورسي الكردي الملقب ببديع الزمان النورسي (١٢٩٣- ١٣٧٩هـ) وقد تكون هذه العلاقة بين الحركتين سبباً لحرص جماعة التبليغ في العقود الأولى من وجودها على تسمية كل مركز لها إلا القليل: مسجد النور[١٢]، وبين الحركتين تشابه في أكثر من ذلك.

أهدافها:

يتفق جميع التبليغيين على أن هدفهم: إصلاح أنفسهم وإصلاح غيرهم بطريق تغيير البيئة.

(١٠) جماعة التبليغ .. ميان محمد أسلم.. ص: ١٥.

(١١) المصدر السابق، ص: ١٥.

(١٢) المصدر نفسه، ص: ٤٥.

وليس للحركة وثيقة مكتوبة تؤيد هذا أو تنفيه.. ولذلك اختلفت آراء الناس فيها بين مادح يرى أن هدف الشيخ/ محمد إلياس من تأسيس حركته: إثارة الشعور الديني لدى مسلمي القارة الهندية للبعد بهم عن خطر الردة في الجو الوثني المحيط بهم، وبين قادح يرى أنها باطنية تبعاً لنشأتها الصوفية (والصوفية عموماً باطنية) مستدلاً على ذلك بتنويع منهجهم: رياض الصالحين (الصالح) للعرب وتبليغي نصاب(الفاسد) للعجم، وبالقبور في مسجدهم ومركزهم الرئيس في الهند والسودان وجوار مسجدهم ومركزهم الرئيس في رائي وند بالباكستان، و انصرافهم عن العلم الشرعي وعلماء الشريعة واعتمادهم على القصص والأحلام، وصرف نصوص الجهاد في القرآن والحديث إلى الخروج التبليغي للدعوة.

تمويلها:

١- تقوم الحركة (في أغلب أحوالها الفردية) على التمويل الذاتي حيث يقدم كل فرد من الخارجين لأمير جماعته ما يكفي مؤونة خروجه.

٢- نقل الشيخ/ ميان محمد أسلم ـ رحمه الله ـ عن كتاب

«مكالمة الصدرين» لحفظ الله السيوهاروي ـ عضو سابق في البرلمان الهندي ـ : أن الحكومة الهندية البريطانية كانت تقدم معونة مالية لجماعة التبليغ بواسطة الحاج / رشيد أحمد. ثم توقفت عن ذلك(١٣).

٣- تمويل المراكز الرئيسة بمطابخها، ونفقات أمرائها ومدارسها، وتمويل الاجتماعات العامة بما يكفي لاستئجار المكان والخيام (أحياناً) وتقديم الطعام للضيوف الذين يبلغ عددهم المئات والآلاف سر مغلق يحتفظ به أمراء الجماعة من القارة الهندية ولا يعرف عنه الأمراء المحليون شيئاً.

ويظن بعض أفرادها أن مصدر التمويل تجار الجماعة أو بعض مؤيديها، ولكن هذا الظن يتناقض مع ما يذاع من رفض الجماعة للتبرعات وجمع المال والاشتغال بالتجارة عن الدعوة، ويتعارض مع دعوى الزهد والانقطاع لعمل الآخرة.

أمراؤها:

أميرها الأول: مؤسسها الشيخ/ محمد إلياس الكاندهلوي،

---

(١٣) جماعة التبليغ.. ميان محمد أسلم.. ص: ١٥.

وتقدم الكلام عنه.

وأميرها الثاني: ابنه الشيخ/ محمد يوسف الكاندهلوي تلقى منه البيعة الصوفية في حياته «نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»[١٤]. وألف كتاب «حياة الصحابة» للعرب من جماعة التبليغ، وخلف والده على إمارة الجماعة بعد موته.

ويزعم معاصروه «انتقال النسبة إليه» (حسب الاعتقاد الصوفي الهندي..) ويعني ذلك أن جميع صفات الوالد ومميزاته الدينية انتقلت إلى الولد بعد موت أبيه[١٥].

وأميرها الثالث: الشيخ/ إنعام الحسن وهو الأمير الحالي للجماعة وقت كتابة هذا البحث.

وحول الأمير عدد من قدماء الجماعة وأمرائها في القارة الهندية يشاطرونه الرأي والمحافظة على خط سير الحركة من التغيير والتبديل.

ومبلغهم جميعاً من العلم حفظ شيء من القرآن والحديث دون تفقُّه بقصد التبرك أكثر من التدبر أو محاولة تصحيح العقيدة أو العبادة أو المنهج (فيما يظهر منهم).

---

(١٤) جماعة التبليغ .. ميان محمد أسلم.. ص: ٢٤.

(١٥) جماعة التبليغ.. ميان محمد أسلم.. ص : ٢٤.

أما الأمراء المحليون خارج المراكز الرئيسة الثلاثة (دلهي، ورائي وند، ودكا) فمهمتهم تنفيذية بحتة ويُختارون من أصول هندية أو تحت إشراف هندي من العوام الملتزمين بطاعة الأمير في دلهي ومنهج الجماعة؛ لضمان الثبات على الطريقة التبليغية والقبول والتسليم في كل حال ولكل أمر.

وتعيين الأمراء المحليين وعقد الاجتماعات العامة وكل شؤون الجماعة الرئيسة تصدر من الأمير العام في دلهي وله الولاء التام والطاعة من الجميع.

منهجها:

لا يعرف عن الجماعة إصدار وثيقة واحدة عن منهجها، فهي لا تستخدم نظم الإدارة الحديثة في تسيير شؤونها، وإنما يتم التخطيط والتنفيذ بالطريقة البسيطة الأولى دون حاجة إلى الثقافة العالمية المستوردة.

ولا يظهر من منهجها للمشارك العادي في نشاطها إلا قراءة السور العشر الأخيرة من القرآن مع فاتحة الكتاب، والقراءة في كتاب «رياض الصالحين للنووي» (من الآيات وصحيح الحديث في فضائل الأعمال)، وفي كتاب «حياة الصحابة للكاندهلوي» (من

قصص عن الصحابة لا يثبت أكثرها) وهما للعرب خاصة.

وكتاب «تبليغي نصاب لمحمد زكريا» لغير العرب في فضائل الأعمال (ويقوم على القصة والحديث الضعيف والموضوع والخرافة والبدعة غالباً ولا يخلو من الشرك). وسأعرض أمثلة قليلة من ذلك إن شاء الله ص٦٦ وما بعدها.

يضاف إلى ذلك أصول الجماعة الستة، ويغلب عليها في الأعوام الأخيرة تسميتها بالصفات الست المختارة من صفات الصحابة. ويبدو أن قيادة الجماعة لجأت إلى هذا التغيير للتخلص من اتهامها باستبدال أصولها الستة بأركان الإسلام الخمسة.

والأصول الستة أو الصفات الست كما ترد في خروجهم:

١- «تحقيق الكلمة الطيبة: لا إله إلا الله محمد رسول الله».

٢- «الصلاة ذات الخشوع والخضوع».

٣- «العلم (بالفضائل لا المسائل) مع الذكر».

٤- «إكرام المسلم».

٥- «تصحيح النية».

٦- «الدعوة إلى الله والخروج في سبيل الله» (على منهج

التبليغ).

ولكل من هذه الأصول أو الصفات «مقصد» و«فضيلة» و«طريقة حصول» محددة.

فمقصد «لا إله إلا الله» (على سبيل المثال): «إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله : أنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا مدبّر إلا الله» وفضيلتها: قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»(١٦)، وطريقة الحصول عليها: «ترديدها».

(وهكذا ينشر الجهل بمعنى لا إله إلا الله ويصرف عن إخلاص العبادة لله وحده أساس الدّين).

---

(١٦) حسن. أخرجه أحمد (٢٣٣/٥) وأبو داود (٣١١٦)، والحاكم (٣٥١/١، ٥٠٠) والطبراني في «الكبير» (١١٢/٢٠)، والخطيب في «تاريخه» (٣٣٥/١٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٧١/١) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه. وأخرجه غيرهم، وله طريق أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه. انظر: «الإرواء» : (١٤٩/٣)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وحسنه النووي في«المجموع» (٩٩/٥)، وابن حجر في «تخريج الأذكار» كما في «الفتوحات الربانية» (١٠٩/٤، ١١٠).

عقيدتها:

يمكن الحكم على منهجها والقائمين عليها وأكثر أتباعها من العجم بما يحكم به على مدرسة ديوبند، والديوبنديون في الهند: أحناف في المذهب الفقهي، أشعرية ماتوريدية في العقيدة. جشتية، نقشبندية، قادرية، سهروردية، في طريقة التصوف.

يصفهم بعض المحايدين من أهل الهند بأنهم وسط[١٧] بين القبوريين، وأهل الحديث.

ولعل هذا الوصف يصدق عليهم وعلى كثير من المسلمين إذ فشا في المتأخرين منهم الخلط بين العقيدة الصحيحة والعقيدة الفاسدة، وبين السنة والبدعة، وبين الولاء لكتاب الله وسنة رسوله والولاء للمناهج البشرية؛ حتى لقد جمع أحد الكتاب الإسلاميين بين محمد بن عبد الوهاب وابن عربي في ذكر الدعاة المصلحين!!. وساوى آخر بين ابن تيمية والبنا في الاعتقاد والفقه ومنهج

---

(١٧) قد ذكرنا فيما تقدم، وسنذكر فيما سيأتي قريباً ـ إن شاء الله ـ ما يدل على تعلقهم بالقبور، مما يجعلهم إلى الطرف الأول أقرب، وبه أشبه.
وانظر كتاب «المهند على المفند» لخليل أحمد السهارنفوري.

الدعوة!!.

هذه بعض نتائج الجهل والدعوة على غير بصيرة ومحاولة جمع «كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم» على غير معتقد صحيح ولا عبادة صحيحة ولا منهج شرعي.

وعلى سبيل المثال فإن كتاب «تبليغي نصاب» وهو الكتاب الوحيد لغير العرب في منهج جماعة التبليغ يضم إلى جانب الآية والحديث الصحيح والدعوة إلى الخير ما يأتي:

١- الحث على السفر إلى المدينة النبوية بقصد زيارة النبي صلى الله عليه وسلّم بعد الحج بدليل: «من حج ولم يزرني فقد جفاني»(١٨).

٢- الحث على التوجه لقبره صلى الله عليه وسلم بالدعاء

---

(١٨) تبليغي نصاب (فضائل الحج).. محمد زكريا، ص: ٩٨.
حديث: «من حج ولم يزرني فقد جفاني» موضوع، أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/٢٤٨٠)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/٧٣)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/٢١٧)، قال الذهبي في «الميزان» (٤/٢٦٥): «موضوع». وقال ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» (ص ١١٧): «اعلم أن هذا الحديث منكر جداً لا أصل له، بل هو من المكذوبات والموضوعات».
(١٩) المصدر نفسه، ص:١١٥.

الآتي: «يا رسول الله أسألك الشفاعة»[١٩].

٣- صيغة السلام على العمرين رضي الله عنهما: «جئناكما نتوسل بكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع لنا ويدعو لنا ربنا»[٢٠].

٤- أن النبي صلى الله عليه وسلم أخرج يده من قبره ليتمكن الشيخ/ أحمد الرفاعي (في القرن السادس الهجري) من تقبيلها على مرأى من تسعين ألف مسلم[٢١].

٥- أن الكعبة تذهب إلى بعض الصالحين في أماكنهم[٢٢].

٦- صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : «اللهم صل على سيدنا محمد بحر أنوارك ومعدن أسرارك ولسان حجتك وعروس مملكتك وإمام حضرتك وطراز ملكك وخزائن رحمتك وطريق شريعتك المتلذذ بتوحيدك إنسان عين الوجود والسبب في كل موجود عين أعيان خلقك المتقدم من نور ضيائك»[٢٣].

---

(٢٠) المصدر السابق. ص: ١١٧.

(٢١) المصدر نفسه، ص: ١٣١.

(٢٢) المصدر نفسه، ص: ٨٨.

(٢٣) تبليغي نصاب: (فضائل درود شريف) ـ محمد زكريا ـ ص: ٦٥.

ومثال آخر: الحجاب المتداول في مراكز جماعة التبليغ في القارة الهندية يجمع بين المعوذتين واسم الله الأعظم وأرقام ٢ و٤ و٦ و٨ مكررة في ١٦ مربعاً وحولها بعض الرموز الغامضة.

تنظيمها:

١- المركز الرئيس موجود في حي نظام الدين (القبوري) بدلهي من الهند يتلوه في الأهمية مركز رائي وند من الباكستان ومركز دكا من بنكلادش.

وفي كل دولة (تعمل فيها الجماعة علناً) مركز رئيس تتبعه مراكز فرعية في المدن والقرى الكبيرة حسب الحاجة والقدرة.

وعلى كل مركز أمير يعود بولائه إلى الأمير العام في دلهي.

٢- جميع المراكز تحتل المساجد في الأحياء الفقيرة.

٣- لا يوجد للجماعة نظام مكتوب ظاهر، ولا سجل ثابت ولا رسم للعضوية، ولا ميزانية عامة، ولا جهاز إداري بالمعنى العصري استغناءً بما يسد الحاجة عن التقليد الغربي.

٤- على كل فرد في الجماعة التفرغ للخروج مع الجماعة ثلاثة أيام في الشهر وأربعين يوماً في السنة وأربعة أشهر في العمر مرة

على الأقل.

٥- على كل فرد الالتزام بطاعة الأمير، والاشتراك في أعمال الدعوة الجماعية والفردية، والاشتغال أثناء الخروج بالدعوة والعبادة وتعلم فضائل الأعمال وتعليمها وخدمة نفسه وغيره حسب الترتيب الذي تقسم به الأعمال على الخارجين.

وعليه أن يتجنب الجدال والخوض في الخلافات الدينية والحزبية والسياسية، وعليه أن يقلل من الكلام والطعام والمنام ووقت قضاء الحاجة، وألا يتدخل فيما لا يعنيه.

٦- موضوع الدعوة الملزم للجميع في كل مكان وكل زمان: بيان عظمة الله والتحذير من الانشغال بالدنيا وترقيق القلوب بأسلوب القاص، وطلب الخروج لتغيير البيئة بمعنى نقل المسلم من السوق إلى المسجد ومن بلده إلى بلد آخر.

ويتم الكلام عن كل ذلك في إطار تعداد الأصول الستة أو الصفات الست التي تقدمت الإشارة إليها.

٧- المسجد هو المكان الرئيس للدعوة بالموعظة العامة.

٨- ويتم التمهيد لها بزيارة الناس في بيوتهم ومتاجرهم

ونواديهم وأماكن تجمعاتهم في إطار ما يعرف عند أفراد الجماعة بالزيارة الخصوصية والجولة العمومية.

٩- وعلى كل فرد (في غير وقت خروجه) شغل جزء من وقته يومياً في حلقة المسجد وحلقة البيت، والزيارات الخصوصية ومناصرة جماعته، وأسبوعياً في جولة تبليغية في حيه، وجولة تبليغية ثانية في حي آخر، وحضور الاجتماع الأسبوعي في مركز الجماعة، والمبيت فيه، وحضور جلسة الشورى الأسبوعية.

كما أن عليه حضور الاجتماعات الدورية التي يتم عقدها بين وقت وآخر في منطقته وعند الاستطاعة خارجها.

جماعة الإخوان المسلمين

مؤسسها:

الشيخ/ حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا[1]، تلقى تعليمه في المدارس الدينية والاعدادية ودور المعلمين وتخرّج من دار العلوم بالقاهرة عام ١٩٢٧م.

وأثناء عمله في التدريس بالاسماعيلية بدأ تكوين الجماعة مع عدد من زملائه عام ١٩٢٨م في نهاية عام ١٣٤٧هـ.

وفي عام ١٩٣٢م انتقلت الحركة إلى القاهرة واستقر فيها مركزها العام ومرشدها العام حتى اليوم.

بدأ اهتمام الشيخ حسن بالدعوة مبكراً[2] وتربى على الطريقة الصوفية «الحصافية» وأخذ بيعتها على يد الشيخ/ بسيوني العبد ثم على يد الشيخ/ عبد الوهاب الحصافي نائب رئيس الطريقة وواظب على حضرتها ووردها والخروج في موكبها في عيد المولد واستمر على ذلك إلى ما بعد انتقاله إلى دار العلوم كما تبين من كتابه: «مذكرات الدعوة والداعية، ص: ٢٧ ـ ٥٨»[3] بل إلى آخر حياته

(١) ولد عام ١٣٢٤ هـ -١٩٠٦م، وتوفي عام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩م.

(٢) مجموعة رسائل حسن البنا، ص: ٥-٧.

(٣) ط/ الزهراء للإعلام العربي، وص٤٣ و٤٥و٦٢، ط/دار الشهاب.

كما يقول الشيخ/ أبو الحسن الندوي في كتابه: «التفسير السياسي للإسلام ويقول الشيخ حسن رحمه الله: «فضّلت أن أشدّ الرحال إلى القاهرة حيث دار العلوم وحيث المقر الرئيسي لشيخنا الحصافي» «كما كنت أجد متعة كبرى في (الحضرة) عقب صلاة الجمعة في منزل الشيخ الحصافي ثم في كثير من ليالي الاسبوع في منزل الخليفة الأول للشيخ»«كان من عادتنا أن نخرج في ذكرى مولد الرسول ﷺ بالموكب بعد الحضرة كلّ ليلة من أول ربيع الأول إلى الثاني عشر منه»(٤).

ويقول الشيخ/ حسن عن شيخ الطريقة حسنين الحصافي: «وكان أعظم ما أخذ بمجامع قلبي وملك عليّ لُبّي من سيرته رضي الله عنه شدته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»(٥).

ولم يدر بخلد الشيخ ولا المريد أن تكوين طريقة صوفية خروج عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه، ومنكر يجب تغييره!.

لم يترك أثراً علمياً يتجاوز مجموعة رسائله ومذكراته ولكنه

---

(٤) مذكرات الدعوة والداعية.. حسن البنا.. ص: ٥٢ ـ ٥٨ . ط الزهراء ١٤١٠ .
(٥) المصدر نفسه ص: ٢٤ .

استثمر ما حصل عليه من معلومات شرعية استثماراً طيباً في حدود قدرته وظروف تربيته.

وانتهت حياته غيلة في القاهرة عام (١٩٤٩م) ـ رحمه الله.

الجماعة في حياة مؤسسها:

بدأت الجماعة ببضعة رجال في الاسماعيلية ثم انتشرت بعد انتقالها إلى القاهرة في مختلف أنحاء مصر.

وكان هدفها الأدنى: إصلاح المجتمع المسلم في مصر.

وكان هدفها الأقصى: إصلاح المجتمع المسلم في كل مكان(٦).

وبرزت في طريق التكوين والإصلاح الملاحظات التالية:

أ- أرادت الحركة أن تجتذب جميع المسلمين في مصر على اختلاف مناهجهم بين السلفية والصوفية فعرَّفت نفسها بأنها «دعوة سلفية» و«طريقة سنية» و«حقيقة صوفية»(٧).

وأرادت أن تجمع في عضويتها بين طالب الدين والدنيا

---

(٦) مجموعة رسائل حسن البنا، ص: ٦٢. ط. المؤسسة الإسلامية.

(٧) المصدر نفسه، ص: ١٥٦.

فأضافت أنها «هيئة سياسية» و«جماعة رياضية» و«رابطة علمية ثقافية» و«شركة اقتصادية» و«فكرة اجتماعية»[٨].

ولتحقيق شمولية الحركة لجميع الاتجاهات الفكرية المصرية في ذلك الوقت أوسعت مكاناً للفكرية المصرية أو القومية، وللعروبة، وللفكرة الشرقية والعالمية في ظل الحكم الإسلامي[٩].

ب- حددت لنفسها هدفين بارزين:

١- أن يتحرر الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي.

٢- أن تقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعي[١٠].

ج- ولأن الحكومة الإسلامية من أهدافها البارزة، فإن وجدت فبها، وإلا فستعمل لاستخلاصها من أيدي أي حكومة لا تنفذ أمر الله، ولكنها لن تتقدم لمهمة الحكم قبل أن تنتشر مبادئ الإخوان المسلمين وتسود، ويتعلم الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة[١١].

---

(٨) المصدر السابق ص: ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٩) المصدر نفسه ص: ١١٢ ـ ١١٤.

(١٠) المصدر نفسه ص: ١٤١.

(١١) المصدر نفسه، ص: ١٧٠ ـ ١٧١.

د- والقوة العملية وسيلة أخيرة لتحقيق ذلك بعد أن تتوفر أسبابها: الإيمان، ثم الوحدة، ثم السلاح[١٢].

هـ- وقد طغت شخصية المؤسس على المؤسسة فلم يعد من السهل تمييز أحدهما عن الآخر.

جماعة الاخوان المسلمين هي حسن البنا بحدود علمه وفكره واتجاهاته وأهدافه وتنظيمه، وبالتناقض بين الفكرة ولافكرة، وبين الفكرة والتطبيق. وصدق الله : **﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾**[١٣].

١- يقول ـ رحمه الله ـ : «إننا نناديكم والقرآن في يميننا والسنة في شمالنا وعمل السلف الصالح من أبناء هذه الأمة قدوة لنا»[١٤].

ويقول ـ رحمه الله ـ : «وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك أن الإخوان:

(١) دعوة سلفية لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه

---

(١٢) المصدر السابق، ص : ١٦٩ ـ ١٧٠.

(١٣) سورة النساء، آية (٨٢).

(١٤) مجموعة رسائل حسن البنا، ص : ٣٥. ط. المؤسسة الإسلامية.

الصافي من كتاب الله وسنة رسوله.

(٢) وطريقة سنية لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة في كل شيء وبخاصة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً»[١٥].

ويقول : «وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها»[١٦].

ويقول : «ولكن الاستعانة بالمقبورين أيّاً كانوا ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها واضاءتها والتمسّح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ولا نتأول لذلك، سداً للذريعة»![١٧].

٢- وفي الجانب المضاد، يقول رحمه الله: «ونظام الدعوة في

---

(١٥) مجموعة رسائل حسن البنا، ص : ١٥٦.
(١٦) المصدر نفسه ص: ١٧٠.
(١٧) المصدر نفسه ص : ١٧٠.

هذه المرحلة (مرحلة التكوين) صوفي بحت من الناحية الروحية وعسكري بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين أمر وطاعة من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج»[١٨].

ويقول : «والبدعة الإضافية والتركية والالتزام في العبادات المطلقة خلاف فقهي لكل فيه رأيه، والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي وليس من مسائل العقيدة»![١٩].

ويقول عن مذهب السلف في صفات الله: «فهم يثبتون اليد والعين والأعين والاستواء والضحك والتعجب.. الخ. وكل ذلك بمعان لا ندركها!»[٢٠].

ومع أنه رحمه الله تطرق إلى تفاصيل جزئية صغيرة في برنامجه العملي لاصلاح المجتمع مثل : «تنظيم المصايف» و«توحيد الزي»[٢١]، وأحصى واجبات الأخ المسلم بناء على بيعته الاخوانية وعددها: ٣٨ واجباً ومن بينها: «عدم الإسراف في قهوة البن

---

(١٨) مجموعة رسائل حسن البنا، ص : ١٧٤. ط. المؤسسة الإسلامية.
(١٩) المصدر نفسه، ص : ٢٧٠.
(٢٠) المصدر نفسه ص : ٣٢٥.
(٢١) المصدر نفسه ص : ٧٦ ـ ٧٧.

والشاي ونحوها من المشروبات المنبهة»[٢٢]. لم يورد أي إشارة تتعلق بتصحيح العقيدة والعبادة علماً وعملاً ولا إزالة الأوثان (الأضرحة) التي بليت بها البلاد وبنيت عليها المساجد ولا الدعوة إلى السنة ولا إنكار البدع بين هذه الواجبات التطبيقية.

بل وردت توجيهات إلى الالتزام ببعض البدع مثل: الذكر القلبي والاكثار من[٢٣]. وورد الدعاء[٢٤]. وورد الرابطة[٢٥]. وورد المحاسبة[٢٦]. والاحتفال بالذكريات الإسلامية[٢٧].

كل هذا.. (وأهم منه: مخالفة شرع الله لجميع رسله وهم قدوة الدعاة إلى سبيله في إهمال البدء بتوحيد العبادة لله والتركيز عليه في جميع مراحل الدعوة والنهي عن الشرك في العبادة والابتداع فيها) لا يؤيد دعوى «العودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله».. ولا على «الاقتداء بالسلف الصالح من أبناء هذه الأمة».. نظرياً ولا عملياً.

---

(٢٢) المصدر السابق ص : ٢٧٧.

(٢٣) المصدر نفسه ص : ٢٨٠.

(٢٤)، (٢٥) المصدر نفسه ص ٣٧٧.

(٢٦) المصدر نفسه ص٣٧٨.

(٢٧) المصدر نفسه ص : ١٢٣.

وبدأت حياة حسن البنا الإخوانية عام : ١٩٢٨م وانتهت عام: ١٩٤٩م دون محاولة ظاهرة لتغيير البدع الشركية والأصلية التي أوضح ـ غفر الله له وعفا عنه ـ وجوب محاربتها.. لا باليد ولا باللسان وعلم القلب عند الله.. وسارت الحركة من بعده على النهج المعروف : إنكار على الحاكم وسكوت عن الرعية.. اهتمام بالقضايا الاجتماعية والسياسية المعاصرة وإهمال للقضايا التي خلق الله لأجلها الخلق وأرسل من أجلها الرسل وتعني كل فرد في الحياة الدنيا وفي الآخرة.. إثارة شباب المساجد على الحكام وبالتالي إثارة العداء بين الحاكم والمحكوم المتدين في سلسلة لا تنتهي من الثورة والبطش لا يصلح بها حال المجتمع المسلم المشغول بذلك عن إصلاح معتقده وعبادته ووقف الانحدار في تدينه إلى حال تشبه حال اليهود والنصارى والمشركين من وجوه.

الجماعة بعد موت مؤسسها:

أ- لعل موت حسن البنا ـ رحمه الله ـ كان سبباً في لفت انتباه سيد قطب ـ رحمه الله ـ إلى الحركة والتحاقه بها وبذل وقته وقلمه وأخيراً نفسه تحت مظلتها.

وقد أدرك ـ رحمه الله ـ الخطأ الأساس في الحركة وحاول

تصحيح منهجها بتوجيهه إلى ما وجّه الله إليه جميع رسله: العقيدة أولاً؛ قبل الحاكمية، وقبل التثقيف، وقبل المشاريع الاجتماعية.

فهو يقول: «الحركات الإسلامية تشغل نفسها بالاستغراق في الحركات السياسية المحدودة كمحاربة معاهدة أو اتفاقية وكمحاربة حزب أو تأليب خصم في الانتخابات عليه. كما أنها تشغل نفسها بمطالبة الحكومات بتطبيق النظام الإسلامي والشريعة الرسلامية، بينما المجتمعات ذاتها قد بعدت عن فهم مدلول العقيدة الإسلامية في القلوب والعقول والغيرة عليها.

لا بد إذن من البداية من القاعدة وهي إحياء العقيدة في القلوب والعقول وتربية من يقبل هذه الدعوة عليها، وعدم إضاعة الوقت في الأحداث السياسية الجارية، وعدم محاولة فرض النظام الإسلامي عن طريق الاستيلاء على الحكم»[٢٨].

ويقول : «هذا الظرف كان يحتم عليّ أن أبدأ مع كل شاب وأسير ببطء وحذر من ضرورة فهم العقيدة الإسلامية فهماً صحيحاً قبل البحث عن تفصيلات النظام والتشريع الإسلامي، وضرورة عدم إنفاق الجهد في الحركات السياسية المحلية الحاضرة في البلاد

---

(٢٨) لماذا أعدموني .. سيد قطب، ص: ٢٩.

الإسلامية للتوفر على التربية الإسلامية الصحيحة لأكبر عدد ممكن، وبعد ذلك تجيء الخطوات التالية بطبيعتها بحكم اقتناع وتربية قاعدة في المجتمع ذاته لأن المجتمعات البشرية اليوم ـ بما فيها المجتمعات في البلاد الإسلامية ـ قد صارت إلى حالة مشابهة كثيراً أو مماثلة لحالة المجتمعات الجاهلية يوم جاءها الإسلام، فبدأ معها من العقيدة والخلق لا من الشريعة والنظام، واليوم يجب أن تبدأ الحركة والدعوة من نفس النقطة التي بدأ فيها الإسلام وأن تسير في خطوات مشابهة مع مراعاة بعض الظروف المغايرة»(٢٩).

كانت فترة علاقته القصيرة بجماعة الإخوان المسلمين ومضة نور لم تتكرر ولم تستفد منها الجماعة في تصحيح اتجاهها.. وحال بينه وبين ما أراد أمر من الله هو الموت، وأمر من الشيطان هو تعصب بعض قادة الحركة الذين قال لسان حالهم: ﴿**إنّا وَجدنا آباءنا على أمّة وإنّا على آثارهم مقتدون**﴾(٣٠).

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ : «فبعضهم أخذ يتحمس لهذا الاتجاه من التفكير ويطلب منه المزيد، وبعضهم أخذ يتحمس

---

(٢٩) المصدر السابق ص :٣٢ ـ ٣٤.

(٣٠) سورة الزخرف آية : ٢٣.

ضده بشدة باعتبار أن فيه مخالفة للخط الحركي الذي سارت عليه الجماعة من قبل وتخطئة لها في بعض تحركاتها، وباعتبار آخر وهو أنه صادر عن جهة غير شرعية بالنسبة لهم»[٣١] أي ليست قيادية.

وبموت سيد قطب ـ رحمه الله ـ ماتت المحاولة الوحيدة لتصحيح الحركة من داخلها.. ووجد من بعده (ممن أدركوا خطأ اتجاه الحركة من أفرادها) ألاّ بد من الانفصال عنها بحركات جديدة لأن الحركة الأم غير قابلة للإصلاح.

ب- وتردت الحركة أكثر فأكثر إلى محاولات متتابعة للإبقاء على وجودها بركوب موجات الأحداث السياسية الجارية: الاحتلال .. القتال.. مناهضة الحكام.. الانتخابات.. الثورة الخمينيّة في إيران.. الغزو الروسي لأفغانستان.. ثورة الحجارة في فلسطين.. وبمحاولة الاستئثار بالغنائم الباردة: المؤسسات العامة والخاصة.. الوظائف الرسمية.. تبرعات المحسنين لهذا الغرض أو ذاك.. وباستغلال الفرص والمناسبات والحركات السياسية والدينية دون التفات ظاهر للحق والمصلحة العامة والولاء والبراء والشرع عامة.

---

(٣١) لماذا أعدموني ص : ٣٤.

وفي هذا الاتجاه والت الجماعة حكومات وأحزاباً.. وعادت حكومات وأحزاباً أخرى تسير على النهج نفسه. وسعت إلى الاشتراك في ممارسات يرتبط وجودها بالتحذير منها.

يقول محمد قطب (وهو معروف بموالاته للجماعة إن لم يكن عضواً فيها): «... حين تقوم جماعة من الجماعات بالتحالف مع الشيطان متمثلاً في أحزاب تنكر شريعة الله وترفض اعتبارها ملزمة للناس في العصر الحاضر ولا تعتبر الدين ـ أي الإسلام ـ مقوماً من مقومات فكرها وتضع بدلاً منه الفكر القومي العربي الاشتراكي ثم تلزم أعضاءها بالسمع والطاعة لهذا العمل أو تهددهم بالفصل إن عارضوا..»[٣٢].

ويقول : «فكيف يجوز للمسلم الذي يأمره دينه بالتحاكم إلى شريعة الله وحدها أن يشارك في المجلس الذي يشرّع بغير ما أنزل الله فضلاً عن أن يقسم يمين الولاء له ويتعهد بالمحافظة عليه وعلى الدستور الذي ينبثق عنه»[٣٣].

ويقول : «إننا نقول للجماهير في كل مناسبة إن الحكم بغير ما

---

(٣٢) واقعنا المعاصر.. محمد قطب. ص : ٥٠٠.

(٣٣) المصدر السابق، ص: ٤٦٣.

أنزل الله باطل ولا شرعية إلا للحكم بشريعة الله ثم تنظر الجماهير فترانا قد شاركنا فيما ندعوها هي لعدم المشاركة فيه»[٣٤].

ج- وليت الحركة تستفيد من تجاربها وفشلها المتكرر وتدرك الخطأ الذي تقع فيه وأثره السيء على أفرادها وعلى الحركة الدينية عامة.

ولكنها للأسف تسير في دوامة روتينية قاتلة، يظهر ـ مثلاً ـ نشاط ديني طارئ ويتجه الناس إلى عمارة بيوت الله بالطاعة وتكثر المدارس والمراكز الدينية ويقبل المسلمون على فعل الخير.. وتأتي الحركة لاستغلال هذا الاتجاه في تنفيذ أهدافها وأهمها السلطة.. وتنهض الحكومة للدفاع عن سلطتها ويقتل من يقتل ويسجن من يسجن ويهرب من يهرب من أفراد الحركة ومن غيرهم.. ويضعف النشاط الديني وتفقد الثقة بين الحاكم والمتدينين من رعيته ويتوجس كل منهما الشر في الآخر... ويحاول أن يتّقيه بكل الوسائل.

وتمر فترة من الزمن تهدأ فيها الخواطر وتبدأ المياه في العودة إلى مجاريها فيعود المسلم إلى المسجد والمدرسة الدينية وإلى مختلف

(٣٤) المصدر نفسه، ص: ٤٦٤.

أعمال الخير ويولد نشاط ديني جديد فتأتي الحركة لاستغلاله وتتكرر المشاهد مرة تلو الأخرى.

يقول فتحي يكن من قادة الحزب في لبنان : «منذ ربع قرن والحركة الإسلامية الحديثة تعيش محناً ضارية تقدم فيها الشهيد تلو الشهيد وتبذل الثمن غالياً من وجودها وحياتها دون أن يكون لها من ذلك أدنى مردود» ثم: «والحركة الإسلامية بالرغم من كل هذا لا يزال أسلوبها في العمل نفس الأسلوب الذي مارسته في ظل أوضاع غدت في خبر كان.. بل وغدت ممارستها له اليوم ـ وفي أعقاب التحول الجذري الذي شهدته المنطقة ـ ضرباً من الانتحار وجريمة لا يجوز السكوت عنها»(٣٥).

ومع صدق هذه الملاحظة فلم تنتبه الحركة ولم ينتبه قائدها في لبنان إلى أساس المشكلة وهو الانحراف عن منهاج النبوة في الدعوة.. ولا إلى علاجها.. وهو الرجوع إليه.. الدعوة إلى الله عبادة ولها منهاج شرعي لا يتغير بتغير الظروف والأحوال ولا دخل للفكر البشري في توجيهه.. ولا يحكم عليه بالنتائج .. فإن النبي

---

(٣٥) مشكلات الدعوة والداعية.. فتحي يكن .. مقدمة الطبعة الثانية.

يأتي يوم القيامة وليس معه أحد.. ويأتي النبي ومعه من العالمين مالا يحصيه إلا الله[٣٦] ومنهجهما واحد لم يغيره مرّ القرون والأجيال ولا القبول والرفض.

د- وللنقص الذي تعانيه الحركة في العلماء والعلوم الشرعية ومنهاج السنة انزلقت في اتجاهين:

١- استحداث اصطلاحات لغوية جديدة تحاول بها ستر فقرها في هذا الأمر الذي لا تصح دعوة إلى الله بدونه: «الفكر الإسلامي» و«الثقافة الإسلامية» عوضاً عن العلم الشرعي.. و«المثقف» و«المفكر» و«الكاتب الإسلامي» عوضاً عن العالم الشرعي.. و«أسلَمة الثقافة العلمانية» عوضاً عن غزوها بشريعة الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ونتيجة لذلك بدأ العلم الشرعي يفقد مكانه في المساجد والمدارس ويشغل فراغه بذواقة من «التربية الإسلامية» لا تسمن ولا تغني من جوع.

وبدأ العالم الشرعي يخلي مكانه في ميدان الدعوة إلى الله

---

(٣٦) ويدل له ما رواه البخاري : (١١/٤٠٥ ـ مع الفتح)، ومسلم : (١/١٩٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

للكاتب والشاعر «الإسلامي» لتتحول الدعوة إلى خطب رنانة تهاجم أهدافاً خيالية أو ثانوية الأهمية تشغل المسلمين عن الأهداف الحقيقية البالغة الأهمية في دنياهم وأخراهم من عقيدة صافية وعبادة صالحة.

وطغى على الأمة طوفان من «الفكر الإسلامي» يعتمد على العقل المثقف أكثر مما يعتمد على أصول ومصادر الشريعة الثابتة من الكتاب والسنة وفقه الأئمة.

ووصف الله جل جلاله: «بالقيادةالعليا»، ووصف وحيه بالتصوُّر الربّاني، ووصفت آيات من كتابه بالموسيقى الحادّة التقسيم وأخرى بالموسيقى الرّخيّة النّديّة، وبالتصوير الفنّي، ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبقرية، وربط الشرع بالفكر، وأهمل الوحي والفقه.

٢- قبول كل ما من شأنه تكثير عدد الجماعة وعدّتها وتحقيق انتشارها وبلوغ أهدافها ولو أدى ذلك إلى التناقض الظاهر في الأقوال والأعمال بين موالاة حكومة ومعاداة أخرى تسلك المذهب الفكري الالحادي نفسه.. ومناصرة حكومة ومحاربة أخرى تماثلها في المنهج السياسي.. ودخول الانتخابات تحت مظلة حزب علماني ضد أحزاب علمانية أخرى، والقيام على الحكم بغير ما أنزل الله، ومخالفة شرعه.

وقد بلغ هذا الانحراف بالجماعة إلى إفساح المجال لدعاة التصوف للوصول إلى قيادة الحركة وتوجيهها وأقرب مثال على ذلك: الشيخ سعيد حوّى وكتابه : «تربيتنا الروحية» الذي أصبح واحداً من أهم قادة ومراجع ومناهج التربية لدى الجماعة!!، وفي هذا الكتاب يؤكد المؤلف «أنه تتلمذ في باب التصوف على مشايخ الصوفية في عصره حتى بلغ درجة المشيخة[٣٧]».

وأنه «يندر أن يجد كمالاً في النفس أو إحساناً في السلوك أو قدرة في التعامل إلا إذا وجد تربية صوفية صافية[٣٨] لأن الصوفية هم الذين ورثوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم تربية النفس.. فما لم يأخذ الإنسان عنهم تبقى نفسه بعيدة عن الحال النبوية[٣٩].. وأن علم التصوف مكمل للعقائد والأحكام الشرعية[٤٠].. وأن القفزة العالية نحو معرفة الله تتحقق بالذكر بالاسم المفرد: الله .. الله[٤١].. وأن ما يجري على يدي أبناء الطريقة الرفاعية (من سحر

---

(٣٧) تربيتنا الروحية .. سعيد حوى.. ص: ١٦.

(٣٨) وقد نص على هذا المعنى: حسن البنا ـ رحمه الله ـ ، انظر مذكرات الدعوة والداعية ص ٢١.

(٣٩) تربيتنا الروحية .. سعيد حوى.. ص: ٢١.

(٤٠) المصدر نفسه ص : ٦٤، ٦٨.

(٤١) المصدر نفسه ص : ١١٥.

وشعوذة ومخرقة) من أعظم فضل الله على الأمة وتصديق لمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء»[٤٢]!!!.

ولقد تنبه سيد قطب ـ رحمه الله ـ لهذا الانحراف ونبه إليه وحذّر منه قائلاً: «ولقد تدفع الحماسة والحرارة أصحاب الدعوات ـ بعد الرسل ـ والرغبة الملحة في انتشار الدعوات وانتصارها.. تدفعهم إلى استمالة بعض الأشخاص أو بعض العناصر بالإغضاء في أول الأمر عن شيء من مقتضيات الدعوة يحسبونه هم ليس أصيلاً فيها، ومجاراتهم في بعض أمرهم كي لا ينفروا من الدعوة ويخاصموها.

ولقد تدفعهم كذلك إلى اتخاذ وسائل وأساليب لا تستقيم مع موازين الدعوة الدقيقة، ولا مع منهج الدعوة المستقيم، وذلك حرصاً على سرعة انتصار الدعوة وانتشارها، واجتهاداً في تحقيق (مصلحة الدعوة).

ومصلحة الدعوة الحقيقية في استقامتها على النهج دون انحراف قليل أو كثير، أما النتائج فهي غيب لا يعلمه إلا الله، فلا يجوز أن يحسب حملة الدعوة حساب هذه النتائج، إنما يجب أن

---

(٤٢) المصدر نفسه ص: ٢١٨.

يمضوا على نهج الدعوة الواضح الصريح الدقيق، وأن يدعوا نتائج هذه الاستقامة لله، ولن تكون إلا خيراً في نهاية المطاف»[٤٣].

ثم يقول: «إن كلمة (مصلحة الدعوة) يجب أن ترتفع من قاموس أصحاب الدعوات، لأنها مزلة ومدخل للشيطان يأتيهم منه حين يعز عليه أن يأتيهم من ناحية مصلحة الأشخاص! ولقد تتحول (مصلحة الدعوة) إلى صنم يتعبده أصحاب الدعوة وينسون معه منهج الدعوة الأصيل!»[٤٤].

وبما أن «منهج الدعوة الأصيل» هو منهاج النبوة وحده فإن من الواضح أن حركة الإخوان المسلمين مثل أغلبية الحركات الإسلامية قد نسيت هذا المنهج أو جهلته أو تنازلت عنه «بقصد استمالة بعض الأشخاص أو بعض العناصر».

وإذا كان الانحراف في حركة الإخوان قد بدأ بالخلط بين السلفية والسنية والصوفية وفرض الطاعة لغير المعصوم «من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج» في فكر المرشد العام الأول حسن

---

(٤٣) في ظلال القرآن.. سيد قطب .. ص: ٢٤٣٥، عند تفسير الآيات : (٤٢ ـ ٥٧) من سورة : الحج.

(٤٤) المرجع السابق ص: ٢٤٣٥.

البنا ـ رحمه الله ـ .. ـ كما قدمنا ـ فقد تطور حتى بلغ في فكر المرشد العام الثالث عمر التلمساني إلى أن يؤكد في مؤلفه «شهيد المحراب» ص١٩٧، ٢٠٢ أنه: «لا داعي إذن للتشدد في النكير على من يعتقد في كرامة الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة والدعاء فيها عند الشدائد».. «ولئن كان هواي مع أولياء الله وحبهم والتعلق بهم، ولئن كان شعوري الغامر بالأنس والبهجة في زيارتهم[٤٥] بما لا يخل بعقيدة التوحيد فإني لا أروّج لاتجاه بذاته فالأمر من أوله إلى آخره أمر تذوق»!!!

ألا يخلّ بعقيدة التوحيد اللجوء إلى قبر (البدوي) المتخذ مسجداً والدعاء فيه عند الشدائد والتعلق به وإحالة أمر العبادة إلى التذوق؟!

الإيمان بكرامات أولياء الله حق بشرط ثبوتها وبشرط ثبوت ولايتهم ولا سبيل لذلك بعد انقطاع الوحي.

---

(٤٥) هذا التعلق ونحوه، والرحلة للزيارة، كان يفعله حسن البنا ـ رحمه الله ـ انظر مذكرات الدعوة والداعية ص: ٢٧و٣٤ ط. الزهراء.

لزوم السنّة والجماعة والسمع والطاعة

الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والنّصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم؛ أصل عظيم من أصول الإيمان. قال الله تعالى: **﴿ومن يتولّ الله ورسولَه والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾** وقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «الدّين النّصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم.

وقد ألزمنا الله الطّاعة المطلقة لواحد من البشر لا ثاني له، عصمه من الزّلل في تبليغ دينه: محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله.

وألزمنا اتباع منهاج واحد لا ثاني له، مصدره الوحي، لا الهوى ولا الظنّ ولا الفكر: سنّته المطهّرة من كلّ نقصٍ أو خلل، بهما يجتمع المسلمون، وبغيرهما يتفرقون شيعاً وأحزاباً وجماعات.

قال الله تعالى: **﴿من يطع الرّسول فقد أطاع الله ومن تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾** ، وقال تعالى: **﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾** ، وقال تعالى: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾** . وقال الرّسول صلى الله عليه وسلم: «فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين تمسّكوا بها، وعضّوا عليها بالنّواجذ،

وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم وغيرهم. (صحيح الجامع الصّغير).

وشرع الله لنا وحدة الجماعة على الدّين الحق، وحذّرنا من التّفرق فيه، قال الله تعالى: ﴿**وإنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتّقون. فتقطّعوا أمرهم بينهم زبراً كلّ حزب بما لديهم فرحون**﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية» رواه مسلم.

وألزمنا الله ورسوله السّمع والطّاعة لولاة الأمر منّا. قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً**﴾، وقال الله تعالى: ﴿**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لاتّبعتم الشيطان إلا قليلاً**﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت، إلاّ مات ميتة جاهلية» متفق عليه، وقال صلى الله عليه وسلم: «تكون بعدي أئمة

لايهتدون بهداي ولا يستنّون بسنّتي». قال حذيفة رضي الله عنه قلت: كيف أصنع يارسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع» رواه مسلم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخرمنهما» رواه مسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله، ولاتنزعنّ يداً من طاعة» رواه مسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون [أو يميتون] الصلاة عن وقتها؟» قال أبو ذرّ رضي الله عنه قلت: فما تأمرني؟ قال: «صلّ الصّلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصلّ، فإنها لك نافلة» رواه مسلم.

واستثنى الرّسول صلى الله عليه وسلم الأمر بمعصية فإنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ ومع ذلك لم يأذن للمسلم بنزع يده من طاعة أميره لمعصيته أو ظلمه أو كراهيته مطلقاً كما قال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أحد رواة هذه الأحاديث:(أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله) رواه مسلم

والتميّز عن جماعة المسلمين بحزب أو فرقة أو جماعة أو منهاج محدث أو طائفة أو أمير مطاع؛ خروج عن شرع الله وسنّة

رسوله من وجوه:

١) بيّن الله في محكم كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن صراطه وشرعه وسبيل المؤمنين إليه واحد: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه**﴾.

ونهى عن السبّل المتعدّدة: ﴿**ولا تتبعوا السبّل فتفرّق بكم عن سبيله**﴾.

ومثل هذا كثير في الكتاب والسّنّة عن تعدّد الأحزاب والفرق، فلا خير في تعدّدها وإن وصفت بالإسلاميّة.

٢) المنهاج الشرعي الفرد للدّعوة إلى الله في جميع رسالاته في كلّ حين: صرّف أوّل الاهتمام وأعظمه إلى حمل الناس على إفراد الله بالعبادة وترك الشرك بالله في العبادة؛ دعاءً أو ذبحاً أو نذراً أو استغاثة أو غيرها ممّا اختصّ الله به ذاته. قال الله تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كلّ أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾.

وجميع الأحزاب والفرق والجماعات الموصوفة بالإسلاميّة في هذا العصر تخالف هذا السّبيل مخالفة تامّة بإهمالها هذا الأصل الأول والأعظم من أصول الدّعوة إلى الله على بصيرة، مع اهتمامها بتفاصيل جزئية غير مهمّة وغير مشروعة ديناً؛ كما مرّ من فرض الشيخ حسن البنّا رحمه الله على أعضاء حزبه تقليل شرب الشاي

والقهوة، وعلى الحكومات المسلمة توحيد الزيّ وتنظيم المصايف، وكما حمّل الشيخ تقي الدّين النّبهاني رحمه الله نفسه الفتوى لأعضاء حزبه بمصافحة الأجنبية والنظر إلى الصور العارية في «دستور الحزب» «وشخصيته الإسلامية».

٣) ومع كثرة النّصوص من الوحيين (وقد مرّ بعضها) في الحثّ على لزوم السنّة فإن الأحزاب الحركيّة المعاصرة وهي تحرص على وصف نفسها «بالإسلاميّة» تخالف السنّة في أهدافها (منازعة الأمر أهله)، ووسائلها (تفريق الأمّة بزيادة عدد فرقها)، وأحياناً بنصوصها كما نرى بالمقارنة بين وحي الله عن الموبقات: «سبع: الشرك بالله»إلخ في الحديث المتفق عليه، وفكر حسن البنّا رحمه الله: (عشر: الاستعمار)إلخ، ولم يتّفق الفكر الإسلامي مع الوحي إلاّ في واحدة: الرّبا (المذكرات٢٩٥).

٤) ومع كثرة النّصوص من الوحيين (وقد مرّ بعضها) في الحث على السّمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين فإن الأحزاب الحركيّة المعاصرة تركز أهدافها ومناهجها ونشاطها على مخالفة ولاة أمر المسلمين واغتصاب سلطانهم والتحريش بينهم وبين رعاياهم، واستغلال حماس الشباب وعواطفهم في هذا السبيل.

خاتمة

يقول الله تعالى : **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾**(١).

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾(٢).

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين

---

(١) سورة آل عمران آية : ٦٤.

(٢) سورة النساء آية : ٥٩.

المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[٣].

وقال : «...من مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية»[٤].

وإذا لم يكن للمسلمين (في وقت من الأوقات) جماعة ولا إمام فليس للمسلم إلا أن يلتزم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى

---

(٣) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه أبو داود (١٣/٥) في كتاب السنة باب لزوم السنة. والترمذي (٤٤/٥) في كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وابن ماجة (١٥/١) في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، وأحمد في المسند (١٢٦/٤ ـ ١٢٧)، والدارمي في سننه (٤٣/١ ـ ٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١٧/١ ـ ١٩، ٢١، ٢٧، ٢٩ ـ ٣٠)، وابن حبان (١٠٤/١ ـ ترتيب بلبان)، والحاكم في المستدرك (٩٥/١ ـ ٩٧)، وأخرجه غيرهم. وقد قال فيه الترمذي : حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في بعض كتبه وتحقيقاته. انظر الصحيحة: (٦٤٧/٢) وتخريج السنة لابن أبي عاصم كما تقدم، وصححه جمع غير هؤلاء، وأقوى طرق الحديث طريق ابن ماجة، وهي عن يحيى بن أبي المطاع.

(٤) أخرجه مسلم (١٤٧٧/٣) في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يدركك الموت وأنت على ذلك»[٥].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس لأحد أن يأخذ على أحد عهداً بموافقته على كل ما يريده وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه».

«ومن مال مع صاحبه (سواء كان الحق له أو عليه) فقد حكم بحكم الجاهلية وخرج عن حكم الله ورسوله».

«ولا يشد وسطه لا لمعلمه ولا لغير معلمه فإن شد الوسط لشخص معين وانتسابه إليه من بدع الجاهلية».

«فإن كان المقصود بهذا الشد والانتماء التعاون على البر والتقوى فهذا قد أمر الله به ورسوله (له ولغيره) بدون هذا الشد، وإن كان المقصود التعاون على الاثم والعدوان فهذا قد حرمه الله ورسوله».

«وإذا اجتمعوا على طاعة الله ورسوله وتعاونوا على البر والتقوى لم يكن أحد مع أحد في كل شيء، بل يكون كل شخص

---

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن: (ح : ١٨٤٧) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

مع كل شخص في طاعة الله ورسوله ولا يكونون مع أحد في معصية الله ورسوله»[٦].

هذا هو صراط الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسبيل المؤمنين: أهل السنة والجماعة.

فليكن ولاؤنا وانتماؤنا وانتسابنا وطاعتنا لله ولرسوله ولأولي الأمر من المسلمين .. ولنحافظ على الجماعة فإن يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار.

ولنستغن بمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في الدين والدعوة إليه عن مناهج البشر وأفكارهم وشعاراتهم وتنظيمهم حتى نستطيع قبول الحق ورد الباطل من حيث جاء لا ميزان لنا في الحكم عليه إلا شرع الله.

أما موازين التكتلات والأحزاب فليس أدل على اختلالها من قول الشيخ حسن البنا رحمه الله مع أنه من خيرة مؤسسي الجماعات أو الفرق «الإسلامية»:

«وموقفنا من الدعوات المختلفة التي طغت في هذا العصر

---

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ ابن قاسم، ص: ١٦-١٨ ج٢٨.

ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار أن نزنها بميزان دعوتنا فما وافقها فمرحباً به وما خالفها فنحن براء منه، ونحن مؤمنون بأن دعوتنا عامة محيطة لا تغادر جزءاً صالحاً من أية دعوة إلا ألمت به وأشارت إليه»[٧] والميزان العدل ـ في الحقيقة ـ وحي الله وحده.

ويقول أيضاً مخاطباً الاخوان «.. فدعوتكم أحق أن يأتيها الناس ولا تأتي هي أحداً، وتستغني عن غيرها إذ هي جماع كل خير وما عداها لا يسلم من النقص..»[٨] وهذا هو التعصّب.

وقد رأينا فيما تقدم من هذا البحث أن الله قد صدق وعده للدعاة إليه على نهج نبيه صلى الله عليه وسلم بلا تنظيم عصري ولا شعارات ولا مراكز وأمراء وبيعات تعزلهم عن جماعة المسلمين.. وأن الدعاة على مناهج البشر قد فشلوا في الوصول إلى نصر الله وتأييده وتمكينه مهما تكررت محاولاتهم وتنازلاتهم وتقلبات ولائهم.

وأهم من ذلك فإن منهاج النبوة في الدين والدعوة يتعرض لخطر الغرق في بحر الحركات والأحزاب والمناهج البشرية المبتدعة

---

(٧) مجموعة رسائل حسن البنا.. ص : ١٧.

(٨) مذكرات الدعوة والداعية ص: ٢٢٢.

باسم مصلحة الدعوة وملاءمتها للعصر[٩].

اللهم ألِّف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا واجمع كلمتنا على طاعتك واتباع سنة رسولك واهدنا لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

وصلِّ اللهم وسلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين واجعلنا منهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

١٤٠٩ هجرية

---

(٩) يقول الشيخ/ بكر أبو زيد (عضو هيئة كبار العلماء) في (خصائص جزيرة العرب): «والجماعات إن استشرى تعدّدها في الجزيرة، فهو خطر داهم يهدد واقعها، ويهدم مستقبلها.. [وجَعْلِها] مَجْمع صراع فكري وعقدي وسلوكي» ص٨٦ « فواجب والله تنظيف هذه الجزيرة من تلكم المناهج الفكرية المبتدعة والأهواء الضالة، وأن تبقى عنوان نصرة للكتاب والسنة والسير على هدي سلف الأمة، حرباً للبدع والأهواء المضلّة »ص٨٨ .

الفهرس الموضوعي

خطبة الحاجة	٣
مقدمة	٤
الدعوة إلى الله على بصيرة	١٠
ميزان الدعوة إلى الله	١١
منهاج الدعوة	١٢
منهاج الدعوة ثابت لا يتغير	١٨
تمييز جزيرة العرب بالدين والدعوة	٣٤
منهاج الدعوة الأصيل في جزيرة العرب	٣٨
الجماعات الإسلامية في جزيرة العرب	٤١
حكم الشرع في وجود الجماعات الإسلامية	٤٨
مناهج الدعوة الوافدة بالتفصيل	٥٣
جماعة التبليغ: مؤسسها	٥٥
نشأتها	٥٦

أهدافها ٥٨
تمويلها ٥٩
أمراؤها ٦٠
منهجها ٦٢
عقيدتها ٦٥
تنظيمها ٦٨
جماعة الاخوان المسلمين.. مؤسسها ٧١
الجماعة في حياة مؤسسها ٧٣
الجماعة بعد موت مؤسسها ٧٩
الخاتمة ٩٢